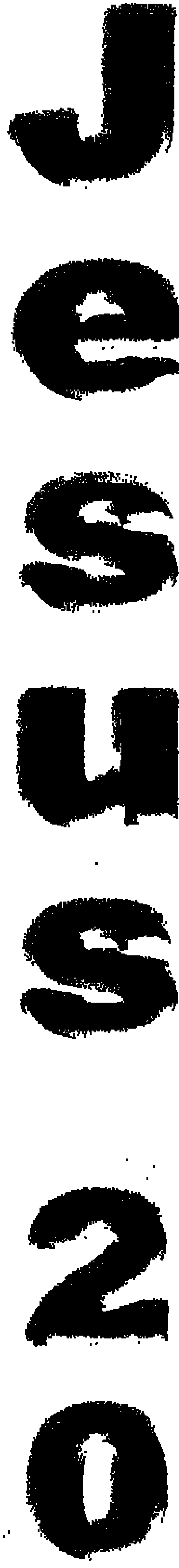

http://home.netscape.com/ - Netscape
File Edit View Go Communicator Help
Back Forward Reload Home Search Guide Print Security Stop
Bookmarks Location: http://home,jesus 2000.com
مسيح ٢٠٠٠
Jesus 2000
د. چورچ كاري
دار النشر الأسقفية
Document: Done

مسيح ٢٠٠٠




تأليف

د. جورج كاري

رئيس أساقفة كانتربري

ترجمة

د. بهيج رمزي



دار النشر الأسقفية

Jesus 2000

First Published in Great Britain in 1999 by Harper Collins Publisher.
77-85 fulharm palace Road, London W68JB

الطبعة الأولى - يناير ٢٠٠٠

الكتاب: مسيح ٢٠٠٠

الناشر: دار النشر الأسقفية

ص.ب: ٧ قصور الشوام - القاهرة

المؤلف: د. جورج كاري

المترجم: د. بهيج رمزي

التحرير: ملاك نصر

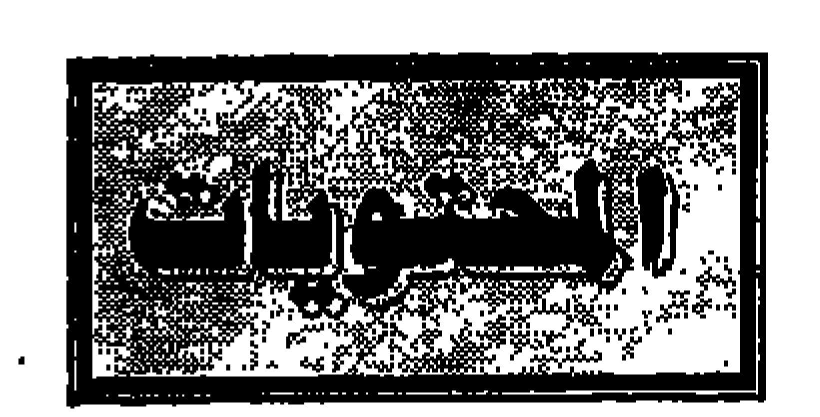
الجمع التصويري والتصميم الداخلي: أ / هايدي فوزي

تصميم الغلاف: سباركل لفصل الألوان

رقم الإيداع: ٢٧٦٣ / ٢٠٠٠

الترقيم الدولي: 977-5884-21-7

المطبعة: أوتو برنت ت: ٥٨٧١٠٠٢

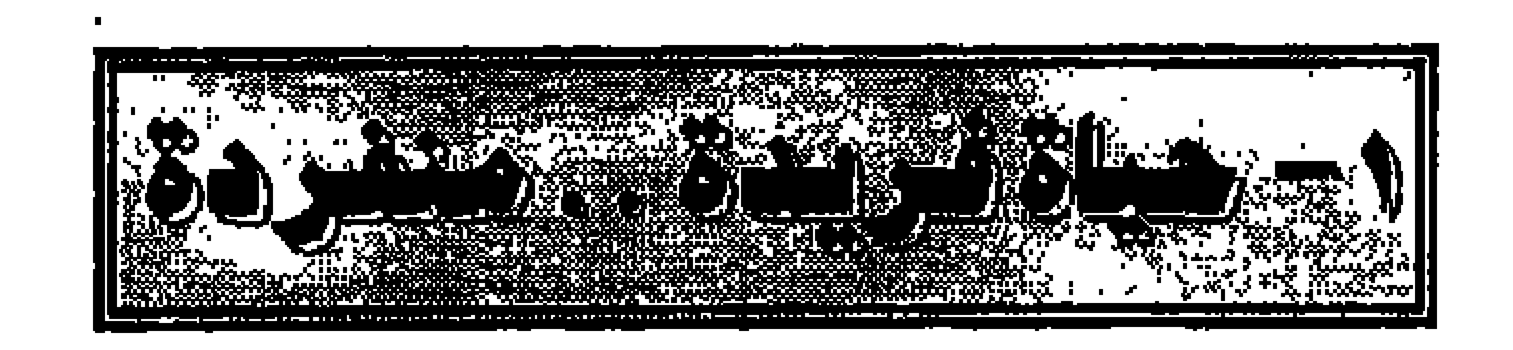


صفحة



(١)

حياة فريدة .. متفردة



١ـ حياة فريدة .. منفردة

وُلد من أم ريفية في قرية متواضعة، ومنعزلة .. لكنه نشأ واشتد عوده في قرية أخرى .. ثم عمل في ورشة نجارة، حتى بلغ الثلاثين من عمره .. ومنذ ذلك الحين، راح يطوف مبشراً.

لم يؤلف كتاباً واحداً في حياته.. ولم يكن له مقر خاص .. بل الأكثر من ذلك، لم تكن له عائلة بالمعنى المألوف، ولم يمتلك بيتاً يسكن إليه وفيه .. لم يذهب إلى مدرسة أو جامعة .. بل لم يزر أية مدينة كبيرة، حيث لم يذهب بعيداً عن مسقط رأسه إلا أميال قليلة .. لم يقم بأعمال نصفها نحن البشر، عادة بالعظمة، ولم تكن له "أوراق اعتماد" بالنسبة للآخرين .. فقط: شخصه الفريد؛ هذا هو كل ما كان يملكه!

وما أن بلغ الثالثة والثلاثين من عمره، حتى بدأ الرأي العام ينقلب ضده .. وابتعد أصدقاؤه عنه .. وتركوه وحده يواجه أعداءه، خوض مهزلة المحاكمة.

لقد ثبتوا يديه بالمسامير؛ ليصلب بين لصين! .. وبينما كان يعاني سكرات الموت، أخذ جلادوه يقترعون على ثيابه التي كانت هي كل ما يملك في الحياة!

وعندما أسلم الروح، أخذت الشفقة أحد أصدقائه، فاستأجر له قبراً، ووضعه فيه.

عشرون قرناً كاملة انقضت على تلك الحادثة .. وما زال هو (السيد المسيح) الشخصية المحورية البارزة للجنس البشري كله .. بل هو محور تقدم الإنسانية. حيث لم تتأثر حياة الإنسان بجيوش أو أساطيل أو برلمانات أو حكّام، مثلما تأثرت بتلك الحياة الفريدة المتفردة لذلك الشخص.

إنه شيء يثير الفضول حقاً .. فبينما نحتفل بمرور ألفي عام على ميلاد السيد المسيح؛ نجد العديد من الناس في العالم يعترفون بأنهم لا يعرفون شيئاً - تقريباً - عنه. أو أن الكثير مما يعرفونه عنه، يعتمد على ذكريات باهتة لما

درسـوه في سـنوات الدراسـة الأولى، في حصـص الديـن أو مـواد الديـن المقـارن أو في دور العبـادة الـتي، ربـما أيـضاً، لا يـعرف الـطريق الـدائم إلـيها، كثـير مـن الأجـيال الصغـيرة الـتي تعيـش بينـنا الآن!

لكـن هنـاك بعـض الصـور والتخيـلات الـتي مـا زال يحتفـظ بـها البعـض عـن شـخصية المسـيح: فـهو الشـاب الوسـيم ذو اللحيـة الخفيفـة، كمـا قدّمـه "بـن هـور" في فيلمـه .. أو كمـا يظـهر أحيانـاً في صـورة شـبيهة بـالزعيم "شـي جيفـارا" في بعـض وسـائل الدعايـة للمؤسسـات الكنسـية .. كمـا أن هنـاك بـالطبع صورتـه المألوفـة، وهـو علـى الصليـب، والـتي يحتفـظ بـها ويقدسـها كثـير مـن المسـيحيين ..

ولكـن، وفي الواقـع الأمـر، لا يوجـد تخيـل أو صـورة واحـدة يمكـن أن تكـون منصفـة وعادلـة لهـذا الشـخص الفريـد، الـذي كـانت حياتـه الفـاصل الوحيـد للتـاريخ الإنسـاني كلـه: مـا قبـل الميـلاد (BC)، ومـا بعـد الميـلاد (AD).

"الكتاب الذي بين أيدينا، ما هو إلا محاولة للكشف عن المكانة الحقيقة لهذا الشخص غير العادي .. فهو مركز احتفالاتنا بالألفية الثالثة."

والكتاب الذي بين أيدينا، ما هو إلا محاولة للكشف عن المكانة الحقيقية لهذا الشخص غير العادي، إذ أنه في حقيقة الأمر هو مركز احتفالاتنا بالألفية الثالثة.

والألفية الجديدة، تعني أن نوّجه أنظارنا نحو المستقبل بكل آفاقه .. إلا أنها أيضاً فرصة ذهبية للنظر قليلاً إلى الماضي، فسوف نجد؛ إذا تأملنا فيما حدث في الماضي، أن مجتمعاتنا وحضاراتنا تدين بالفضل ليسوع المسيح، حيث المعنى الجديد الذي أضافه لحياة كل من آمن به، واشتراكه في هذه النعمة العظيمة.

إن كل من يريد أن يعرف التاريخ معرفة حقيقية، لأشك أنه سيحتاج أن يعرف أكثر عن شخص يسوع المسيح، وعن تأثيره في حياة البشر قاطبة.

يسوع المسيح ليس مجرد رمز تاريخي:

يتحدث المسيحيون المؤمنون بيسوع المسيح،

يتحدثون عنه بأساليب وأسانيد ترفعه إلى منزلة أعظم من أي شخص آخر في التاريخ .. ولكن الكثيرين يرفضون مثل هذه الأسانيد .. غير أن الذي يرفضها، كان الأحرى به أن يتأمل قليلاً فيما يرفضه .. فمجرد إهمال الفكرة أو التعامل معها بلامبالاة، لا يصح أن يكون أساساً مبنياً عليه موقفاً مصيرياً، مخالف أو متفق مع عقيدة مغايرة.

فنحن المسيحيين نبني إيماننا على عقيدة عاشت ألفي عام، وما زالت تحتفظ "بسر حياة" حتى الآن، مما يجعلها تستحق الاهتمام والتأمل فيها، وأخذها بعين الاعتبار.

وقد يرى البعض، رغم ذلك، استحالة قبول هذه الأفكار الخاصة بشخص السيد المسيح. لكننا نؤكد على حقيقة هامة، وهي إن كل من يتأمل جيداً في حياة ذلك الشخص العظيم؛ لابد وأن يخرج بمفاهيم جديدة عن هذه الشخصية، بل عن حياته هو نفسه، كما لو كان قد زار مكاناً لم يره من قبل .. فإذا زار أحدنا، مثلاً، إحدى المدن الكبيرة في أي مكان في العالم، فكل ما يمكنه

رؤيته في إجازة قصيرة، سيظل ضحلا جدا بالنسبة لما تحتويه تلك المدينة من معالم، لكنه سيبقى محفورا في ذاكراته، حتى ولو كانت تلك هي الزيارة الوحيدة لذلك المكان.

ونحن ندعوك، بمناسبة الألفية الجديدة، لزيارة مماثلة لموقع فريد. حيث نتعرف، لأول مرة، على شخصية يسوع المسيح. فكل واحد، منا، عليه أن يستكشف هذا الأمر، مرة واحدة، على الأقل، في حياته.

لقد كنت، دائما، أفكر في أولئك المتشككين في الإيمان المسيحي، أو عديمي الاهتمام به .. لكن ماذا أيضا عن المترددين على الكنائس، المسيحيين بالاسم فقط؟!

للأسف الشديد، فإنني، أحيانا، أقابل بعضا من هؤلاء الذين يذهبون إلى الكنيسة مرارا، وهم لا يملكون إلا قدرا ضئيلا من المعرفة عن أساس إيمانهم. فالعبادة، في حد ذاتها، تمثل شيئا عزيزا لديهم بلا شك، لكنها طالما بقيت منفصلة عن

„ كل واحد، منا، عليه أن يستكشف هذا الأمر مرة واحدة، على الأقل، في حياته. “

معرفة حقيقة شخص يسوع المسيح؛ فسوف يظل إيمانهم بلا أساس أو مضمون .. ممل يجعلني أتمنى أن يكون هذا الكتاب مفيداً لهم أيضاً.

وهنا، يجب أن نشير إلى جانب محزن ومثير للإحساس بالمرارة، في معرض تأملنا عن يسوع المسيح .. فبالرغم من كل الأمور العظيمة والصالحة التي تمت، والتي تتم أيضاً، باسم يسوع المسيح؛ إلا أننا يجب أن نُقرّ بالأخطاء ومواضع الفشل التي حاقت بالمسيحية .. ونحن لا نقصد، هنا، بالطبع، الدفاع عما ارتكب من فظائع باسم المسيح .. فالمسيح، نفسه - موضوع نقاشنا - لا يلتمس العذر لمرتكبيها .. وإذا قرأنا كل ما رُوِيَ عن حياته في الكتاب المقدس، سوف لا نجد أي تبرير للحروب الدينية، أو حتى للممارسة العنصرية أو التمييز ضد المرأة .. بل إن هذه الأمور المخجلة تسيء إلى حياته وتعاليمه.

وفي مقابل ذلك، يجدر بنا أن نذكر الإنجازات والنجاحات العظيمة التي تحققت باسم يسوع .. فهناك مؤسسات في شتى المجالات: المستشفيات،

المدارس، الجامعات، الملاجيء؛ وكلها تترجم، بطريقة عملية، تأثيره المتواصل في حياتنا.

فعلى مدار كل العصور والأجناس، حمل الرجال والنساء إنجيل المسيح، وكرزوا برسالته، وبذلوا حياتهم لأجله.. وعاش الكثيرون حياة بطولية، وتركوا وراءهم أعمالاً ذات قيمة إنسانية بارزة.

فإذا كانت الأسانيد والدفاعات التي تُقال عن شخصية السيد المسيح، وعن كل ما قاله وفعله غير صحيحة، فذلك يعني أن كل تلك الأعمال النبيلة والأمور العظيمة قد قامت على أساس خاطيء! وبذلك، يكون كل ما قام به هؤلاء الذين كرسوا حياتهم وبذلوها، قد فعلوا ذلك بغير جدوى أو فائدة! ولكن هذا، في حد ذاته، يدعونا للنظر في التفسير الآخر؛ وهو أن هناك خلف هذه الأعمال النبيلة والأمور العظيمة التي تمت في اسم المسيح، شخصا عظيما يستطيع أن يكون ملهما لنا، أيضا، في عصرنا الحالي.

وهنا .. قد يتساءل البعض: ما الذي يجعلنا نطمئن أو نعتمد على ما في هذا الكتاب من أفكار عن المسيح؟! فمن المؤكد أن الكاتب سينحاز إلى جانب المسيح، انحياز المؤمن لرئيس إيمانه، والرياضي للرياضة، والفنان لفنه!

هناك شيء من الحقيقة في ذلك .. وأنا أعترف، منذ البداية، أني أقف في صف يسوع المسيح .. ولكن، وقبل أن تلقوا بالكتاب جانبا، دعوني أقدم بعض الأفكار التي تعضد موقفي:

لقد ذكرت، من قبل، إن البحث في قضية شخصية يسوع المسيح يشبه قليلا زيارة مكان جديد في إجازة قصيرة .. وهو يشبه أيضا النظر بإمعان إلى عمل أدبي عظيم .. فمن الصعوبة بمكان على أي مؤلف، أن يكتب عن يسوع المسيح، الذي هو نفسه المبدع الأصلي، دون أن يكون هناك قيمة معينة، وراء حياة يسوع المسيح، وما يرمز إليه بشخصه الفريد من معنى.

بل حتى وإن كانت الكنيسة أو جماعة

> ”وهنا .. قد يتساءل البعض، ما الذي يجعلنا نطمئن أو نعتمد على ما في هذا الكتاب من أفكار عن المسيح؟!“

المسيحيين لا تروق لك، أو كنت تنظر إلى تعاليم المسيح على أنها غير عملية، فأنت، رغم ذلك، لا يمكنك أن تنكر ما يمثله يسوع المسيح بالنسبة للبشر أجمعين.

إذاً، ولكي يكتب أحد عن السيد المسيح، بطريقة حيادية، يجب أن يحمل تجاهه مشاعر اللامبالاة الكاملة .. وفي هذه الحالة، سيكون كما لو كان يكتب عن "مونتسارت"، بصفته مؤلفا للموسيقى المزعجة التي لا تعني شيئاً له قيمة لأي فرد لا يستمع إليه.

وفي العادة، عند تحليل أي فكر أو حركة تاريخية أو اجتماعية، مثلاً، يكون هناك قليل من التأثر بالذاتية .. ويظهر ذلك، واضحاً، عند التصدي لدراسة التاريخ. وفي موضوعنا هذا، نجد أن خبراتنا الشخصية، لابد وأن تلقي بظلالها - رغماً عنا - على ما نقدمه من تفسير للحق. ولذلك، فمن الأفضل أن نتناول الأمر بأقل قدر من الانحياز لصاحب القضية.

> "حتى وإن كانت الكنيسة أو جماعة المسيحيين لا تروق لك، فلا يمكنك، رغم ذلك، أن تنكر ما يمثله يسوع المسيح بالنسبة للبشر أجمعين."

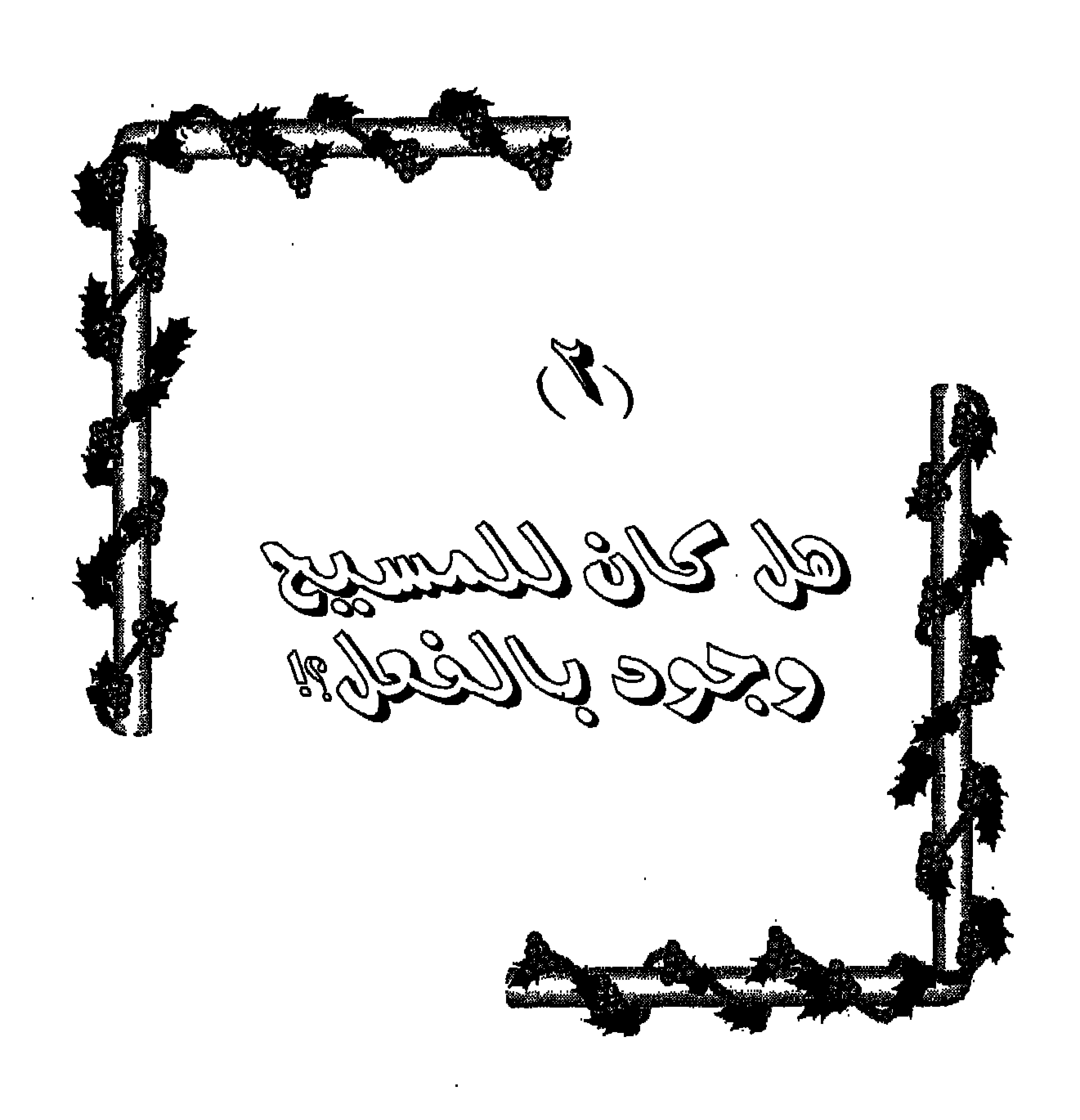
وهنــاك ملاحظــة أخــرى أود أن أقدمــها في روح الأمانــة الشــديدة .. لقــد مــرّ إيمــاني الشــخصي، بلحظــات امتحــان عصيبــة، كمــا صمــد أمــام الألم سـنوات عديـدة .. ورغـم كـل البركـات العظيمـة الـتي تمتعـت بـها، بفضـل هـذا الإيمـان، إلا أن الأمـر لم يكـن سـهلاً علـى الإطـلاق .. فعـلاً لم يكـن الأمـر سـهلاً علـى الإطـلاق!

فكما يحـدث مـع أنـاس كثـيرين، هـاجمني الشـك كثـيراً وبسـهولة .. بـل كـانت التسـاؤلات الحـائرة الـتي تراودنـي، أكـثر مـن الـتي تـراود الآخريـن .. ولم تكـن نشـأتي في بيـت مـن الأسـر الـتي اعتـادت علـى ارتيـاد الكنيسـة، والـتي يشـب أعضاؤهـا، في أمـان وقـوة روحيـين .. لكـني اختـبرت إيمـاني مـن خـلال التسـاؤلات الكثـيرة الحـائرة، والشـك، والصـراع .. وكذلـك مـن خـلال تجـارب الحيـاة في السّـراء والضـّراء .. ولكنـي بـدأت أتفـهم شـخصية يسـوع المسـيح، مـن خـلال هـذه المعانـاة، وبـدأت معرفـتي بـه تـزداد عمقـاً ونقـاء .. ومـن هنـا، فـإني أحـاول، بقـوة الإخـلاص والحـب، أن أقـوم بالتوجيـه الصحيـح، لكـل مـن لديـه تسـاؤل مخلـص حـول شـخصية المسـيح؛

> ”ورغم كل البركات العظيمة التي تمتعت بها، بفضل هذا الإيمان، إلا أن الأمر لم يكن سهلاً على الإطلاق.“

لأنني أدرك تماماً ما يشعر به، إن كان في حيرة من أمره.

لذلك، أرجو أن يكون لدى من يتساءل عن شخصية الشخصيات (يسوع المسيح)، روح المثابرة؛ ليجد في هذه السطور إرشاداً أميناً ومخلصاً للمعنى الكامن خلف الاحتفالات التي نعيشها الآن بالألفية الجديدة، التي هي في الحقيقة احتفال بذلك الشخص العظيم الفريد "يسوع المسيح".



(٢)

هل كان للمسيح وجود بالفعل؟!

٢ - هل كان للمسيح وجود بالفعل؟!

كان هذا السؤال محل خلاف واسع في بدايات القرن العشرين .. فبعض العلماء، الألمان مثلاً، زعموا أن يسوع المسيح ما هو إلا صورة مختلقة من وحي الخيال! وقالوا إن قصة المسيح هي من اختراع الذين كتبوا العهد الجديد، لكي ينشروا إيماناً جديداً وسط الشعب الساذج أيام الإمبراطورية الرومانية!!

ولا يوجد من بين العلماء المعاصرين الآن من يأخذ بهذه النظرية - إلا نفر قليل - وذلك للأسباب الثلاثة التالية:

أولاً: حتى لو كان هناك اعتقاد بأن ما كُتب من روايات عن السيد المسيح (والتي نسميها نحن "البشائر أو الأناجيل") قد كُتبت بعد مرور ٤٠ عاماً من صلب المسيح، فذلك لا يمنع أن الذاكرة يمكن أن تبقى حية وحاضرة بعد مرور تلك الفترة الزمنية ...بل هناك مَن ظل من الشهود على قيد

الحياة، لتكون شهادتهم دليلاً على صحة الأناجيل، والتي لو كانت مُختلقة وملّفقة - كما يقولون؛ لما كان ممكناً أن تُروي قصة مثل قصة الصلب، ولما كان ممكناً لأي مجموعة من الكتّاب أن تنجح في تأليف مثل تلك القصة .. وهنا، تبرز رسائل بولس الرسول التي كتبها قبل تدوين البشائر كشاهد حقيقي ضد الاتهام بأن شخصية المسيح هي شخصية خيالية.

ثانيا: لا يوجد أي دليل على أن الذين كتبوا العهد الجديد قد اشتركوا في تلفيق أو "فبركة" موحدة ومشتركة .. حيث توجد، هناك، بالفعل، أوجه تشابه عديدة في رواياتهم .. إلا أنه إذا أخذنا في الاعتبار صعوبة الاتصال بينهم في تلك الأيام، فمن غير المعقول، عمليا، أن نتخيل أن كتبة الأناجيل الذين دونوا قصة حياة يسوع قد تعاونوا واتفقوا فيما بينهم لإخراج تلك القصة إلى الوجود!!

وفي مقابل ذلك، نجد هناك اختلافات شتى في كتاباتهم؛ مما يعني، بالتأكيد، انتفاء شبهة

"ظل هناك بعض الشهود على قيد الحياة، لتكون شهادتهم دليلا على صحة الأناجيل."

التلفيق أو التزييف .. إن الادعاء باختلاق قصة المسيح هو زعم غير معقول على الإطلاق.

ثالثاً: باستعراض المصادر غير المسيحية، في ذلك الوقت؛ نجدها تشير إلى وجود شخص كان يُنظر إليه باعتباره مؤسس الطائفة المسيحية .. فنقرأ، مثلاً، للمؤرخ "تاسيطس" في معرض حديثه عن اضطهاد المسيحيين في عام ٦٤ ميلادية، إن كلمة "مسيحيون" مشتقة من "المسيح" الذي حكم عليه "بيلاطس البنطي" بالموت في عهد "طيباريوس قيصر" .. وأشار أيضاً أناس آخرون إلى وجود "يسوع الناصري"، الذي عُرف "بالمسيح"، مثل "بلليني الصغير" و"سويطونيوس" والمؤرخ اليهودي "يوسيفوس".

والخلاصة، هنا، أنه يمكننا أن نؤكد، وبكل ثقة، إن هناك شخصاً حقيقياً، من دم ولحم، وراء هذه الروايات التي تتحدث عنه.

"إن الادعاء باختلاق قصة المسيح هو زعم غير معقول على الإطلاق .."



(٣)

هل يمكن أن نثق في الإنجيل؟!

٢ - هل يمكن أن نثق في الإنجيل؟

يتفق الخبراء، الآن، على أن رسائل بولس الرسول، قد سبقت الأناجيل الأربعة (متى - مرقس - لوقا - يوحنا) زمنياً، حيث كتبها بعد مرور حوالي عشرين عاماً من موت المسيح وقيامته. أما أول إنجيل، فقد كتبه القديس مرقس، على الأرجح، بعد حوالي ثلاثين عاماً من الصلب. ورغم أن الأناجيل الأربعة قد اتفقت في كثير من محتوياتها، إلا أن هناك اختلافات فيما بينها - لا يمكن تجاهلها.

وإزاء هذه الفجوات الزمنية والاختلافات بين الأناجيل الأربعة، قد نتراجع في ريبة وشك، ولسان حالنا يقول: ".. وهو كذلك .. نحن نصدق أن المسيح كان موجوداً بالفعل .. ولكن كيف نثق بأن العهد الجديد هو مصدر موثوق فيه، من حيث المعلومات المتاحة عنه؟".

ولكن مثل هذا الشك لا مبرر له؛ لأننا،

بذلك، ننسى التأثير الذي تركه المسيح في حياة الناس في تلك الأيام .. (ولدينا، الآن، أدلة تاريخية محايدة على أن المسيحيين قد بذلوا حياتهم من أجله، حتى من قبل أن يكتب أي إنجيل).

وإذا كانت عظمة المسيح بهذا القدر الذي يدفع أناساً أن يموتوا من أجله؛ من الطبيعي، إذن، أن تظل قصة حياته وتعاليمه باقية وحية حتى الآن.

وهنا .. يجب أن لا ننسى أهمية "التواتر الشفهي للتعليم" عند الشعب في أيام المسيح - وربما حتى الآن، وفي الشرق الأوسط بالذات .. فقد كانت الطريقة الوحيدة عندهم، حينذاك، لكي تظل تعاليم الكاهن أو المعلم حية وحاضرة؛ كانت الطريقة هي استذكارها وتكرارها وإعادة روايتها باستمرار، على أن يتم ذلك بكل أمانة وإخلاص.

ولم يكن إحياء الذاكرة والحفظ مسئولية شخصية، بل كان المجتمع كله أو العائلة كلها

"وإذا كانت عظمة يسوع بهذا القدر الذي يدفع أناساً أن يموتوا من أجله. فإنه من الطبيعي، إذن، أن تظل قصة حياته وتعاليمه باقية وحية حتى الآن."

يتذكرون ويستذكرون معاً هذا التعليم، ليسلّمونه بأمانة مطلقة للأجيال التالية.

أما بالنسبة لأتباع المسيح الذين عاصروه، فقد كان الأمر، بالنسبة لهم، يبدو أكثر سهولة، حيث كانت تعاليمه مثيرة للانتباه، حاملة لعناصر التشويق، كما كانت أمثاله وحكاياته قوية ومناسبة تماماً ولا تُنسى .. ولذلك، تركوا وراءهم تعليماً منقولاً بطريقة موثوق فيها، حتى من قبل أن تكون هناك وثائق مكتوبة تحمل هذه التعاليم.

وينطبق نفس الأمر، وبشكل كبير، على ذكريات الحروب في عالمنا المعاصر. فما زالت، حتى الآن، تظهر كتب جديدة تؤرخ لأحداث "حرب الخليج" و"حرب فوكلاند" و"حرب فيتنام" و"الحرب العالمية الثانية" .. كما تعرض الأفلام التسجيلية والوثائقية ذكريات الذين شاركوا في تلك الحروب؛ لتسجل حقيقة ما حدث .. ورغم مرور أكثر من خمسين عاماً على الحرب العالمية الثانية، فمازلنا نصدّق روايات الأشخاص الذين اشتركوا فعلياً في هذه الحرب.

ولا شك أن قراءة العهد الجديد ليست بالأمر السهل، فهناك أكثر من طريقة لفهم ما يقوله العهد الجديد، على العكس من الكتب الروائية الحديثة ذات الأسلوب المباشر .. أما إذا قرأناه بعناية، وقبلناه باعتباره المصدر الكامل للمعرفة عن السيد المسيح؛ فسوف يعني اكتشافاً مدهشاً وغنياً ومشجعاً على البحث والدراسة .. ولكن، فقط، نحتاج أن ننظر إليه بنظرة مختلفة عن الوثائق الحديثة المعاصرة - رغم بعض التشابه في التركيب والصعوبة؛ وحينئذ .. تتأكد أنك ستنهل منه معاني أكثر كثيراً من مجرد المعلومات التاريخية.



(٤)

أي نوع من الناس كان المسيح؟!

٤ - أي نوع من الناس كان المسيح؟!

نتناول الآن "العهد الجديد"، لنخطو أولى خطواتنا في البحث عن الحقيقة .. ولنبدأ بأول سؤال قد يتبادر إلى الذهن: "أي نوع من البشر كان المسيح؟" .. وهنا، تواجهنا مشكلة مفاجئة تعيدنا إلى ما سبق ذكره عن الطبيعة الخاصة بالعهد الجديد.

إذا تخيلنا أنفسنا، الآن، إننا نحاول أن نكتب قصة عن حياة المسيح، ففي الغالب، سوف نبدأ بوصف مظهره الخارجي وملابسه وأسلوب حياته وعاداته .. وسنتناول اهتماماته وعلاقاته ومواهبه .. كما سندرس، بأكثر تفصيل، أيضاً، الصراعات التي خاضها مع معارضيه، وسوف نحاول فحص وتحليل تعاليمه غير العادية .. إلا أن العهد الجديد لم يهتم بكل تلك التفاصيل! فنحن البشر نبحث عما هو جديد (لنعرفه)، بينما العهد الجديد يبحث فيما هو جديد لكي (نؤمن به، ونصدقه)!

وتلك كانت القصة التي يضعها أمامنا العهد الجديد: شخص جاء برسالة، يدعونا لنؤمن بها .. لذلك كان سؤال المسيح لتلاميذه: "وأنتم من تقولون من أنا؟" .. وهو نفس السؤال الموّجه إلي كل واحد منا بصفة شخصية.

وعندما تصدى تلميذه بطرس لإجابة هذا السؤال المحيِّر لم يقل "أنت شاب يهودي من الناصرة"، بل تفوه بإجابة تؤكد حقيقة وماهية المسيح ومغزى حياته، فقال: "أنت هو المسيح ابن الله الحي" .. وعلينا، نحن، أيضاً، أن يكون شاغلنا الأساسي هو المعنى الحقيقي وراء ماهية المسيح.

ونحن نستطيع، من خلال قراءتنا لروايات الأناجيل الأربعة أن نتبيِّن، بوضوح، وجود شخصية حقيقية، هي شخصية المسيح: الذي نشأ في بيئة يهودية، وعرف الحياة الأسرية منذ صغره - عندما كان يعيش مع والديه يوسف ومريم، في بلدة صغيرة تدعى الناصرة، وحيث تعلم هناك، على يدي والده، حرفة النجارة.

”كان سؤال المسيح لتلاميذه، "وأنتم من تقولون من أنا؟" وهو نفس السؤال الموجه إلى كل واحد منا ..“

وفي الوقت الذي تخلو فيه الأناجيل الأربعة من أي وصف دقيق لشكله أو مظهره، إلا أننا نستطيع أن نستشف بعض الملامح من طبيعته البشرية .. فنجده يعمل باجتهاد إلى درجة الإرهاق .. ونجده قد اختبر معنى الجوع الحقيقي، واختبر معنى المحبة الحقيقية، وكذلك مشاعر الغضب والحزن والوحدة والخوف.

ربما لم تكن هناك أي إشارة إلى أوقات كان يضحك فيها، لكنه كان يملك روح الدعابة التي ظهرت أحيانا في تعاليمه.

وبمرور الوقت، لوحظ أنه كان يتكلم بسلطان، كما لو كان كاهنا معلما .. وهنا، نلاحظ أن التعليم الذي كان يتفوه به، كان ينبيء عن معرفة جيدة بالحياة الإنسانية، وعن حب واضح للطبيعة والحياة الريفية.

ورغم أنه لم تصلنا - عبر هذه القرون - أية تفاصيل دقيقة عنه، لكنه، بلا شك، كان له حضور واضح، كشخصية ذات شعبية .. جاذبة

للأنظار .. لماحة .. ومثيرة للجدل. ولقد تحدثت كل الروايات في الأناجيل الأربعة عن الجموع الحاشدة التي كان تتبعه، الذين كانوا يتمسكون بكل كلمة قالها في أمثاله، من واقع الحياة اليومية وعن طبيعة الله وملكوته، وكذلك عن واجبات الفرد من الناحية الدينية .. بل الأكثر من ذلك، كان المسيح يلهب المشاعر؛ فانقسم الناس ما بين مؤيد له بقوة ومعارض له بشدة.

"كانوا يتمسكون بكل كلمة قالها في أمثاله، من واقع الحياة اليومية."

وهنا .. نأتي إلى تلك الطبيعة "المثيرة للجدل" لذلك الشخص اللافت للنظر، شخص المسيح. لقد كانت الصورة العالقة بأذهاننا منذ الصغر، هي صورة المسيح النمطية، فهو الوديع والمتواضع، وهي الصورة القريبة من صورة الإنسان الحقيقي .. فهو لم يكن ذلك الرجل، "صاحب البدع" ذو اللحية الشقراء الذي يلتحف بثوب من "البشكير" - كما صوره الأديب الروسي "نابكوف" .. لكنه كان رجلاً أثار غضباً وجدلاً عنيفاً، وسط أصحاب القوة والسلطان في تلك الأيام ..

"كان رجلا يحمل تحت جلده بركانا من الشجاعة والإقدام .."

كان رجلا يحمل تحت جلده بركانا من الشجاعة والإقدام .. فنراه مستعدا للوقوف في وجه كل الأسس الدينية المستقرة والمسلم بها آنذاك .. فنجده يصف الكهنة "بالمرائيين" الذين لا يمارسون ما ينادون به!

كما رأى البعض، في هجومه على الصيارفة في الهيكل، هجوما على السلطة الدينية بوجه عام .. لقد وصفت الأناجيل الأربعة هذا العمل الخارق والجريء، وسجل كل منها موقف القادة الذين ازدرى بهم، حيث تساءلوا فيما بينهم السؤال الكبير المحير: "بأي سلطان يفعل هذا؟ ومن الذي أعطاه ذلك السلطان؟".

وهنا .. دعونا نتأمل هذه الكلمة الهامة: "السلطان" .. فهي تقودنا إلى الفهم الحقيقي لهذا الشخص الذي يدعى "المسيح يسوع الناصري".

نحن نعلم جميعا أن هناك من الشخصيات البارزة من يثير الجدل والحيرة دائما .. ونعلم

أيضا، أنه إن اتصف شخص ما بأنه مثير للجدل؛ فقد هذا الشخص الكثير في نظر الآخرين، وفقد القدرة على مفاجأتهم ولفت أنظارهم .. بل يتحول دائما رد الفعل نحو هذا الشخص إلى نوع من التوقع المسبق البارد المستهزئ له.

ولقد كان من الممكن أن يكون الحال كذلك مع شخص المسيح .. وكان من الممكن أيضا، أن يأخذ صورة التقي الأحمق والمثير للفضائح، والذي لا يتلقى في النهاية سوى تجاهل الجميع له .. فتلك كانت نهاية كثير من أصحاب البدع .. فلماذا لم يلق هو نفس النهاية؟

والإجابة هي: إنه كان يتحرك ويتكلم "بسلطان" .. ولقد أجمع كل من عاصروه على تلك الحقيقة.



(٥)

بأي سلطان كان المسيح يعلم؟!

٥ - بأي سلطان كان المسيح يُعلِّم؟

> "صارت أقواله مقترنة بالأعمال، مستمدة قوتها مما كان يتم على يديه بالفعل .."

حينما انطلق المسيح في أداء رسالته، في شفاء الناس، وتبشيرهم، وتوجيههم، بدأ سامعوه وكل من تبعه يلاحظون أمراً هاماً ومثيراً .. فلم يكن حديثه عن الله يتسم، فقط، بالفصاحة والبصيرة النافذة، وإنما كان يعلن، أيضاً، عن "سلطان الله" الذي يؤيده فيما يفعله .. فلم يستند على قوة أو علم كهنوتي في تعليمه، بل كان حديثه مباشراً، وربما أيضاً متعارضاً مع التعليم الذي كان الناس يتلقونه من قبل.

فصارت أقواله مقترنة بالأعمال، مستمدة قوتها مما كان يتم على يديه بالفعل .. وها هو الدليل واضح في حالات الشفاء الأكيد التي تمت، وكذلك الطريقة التي كان يتعامل بها مع مراكز القوى في زمانه، والتي كانت تدل على أن علاقته بالله، ذات طابع فريد وغير المألوف.

لقد كان له إدراك فطري لكل ما هو صالح

وقدسي، مع إحساس واضح بما هو متفق مع إرادة الله.

وهناك برهان آخر، نستنشفه من أسلوبه في الحياة، فلم تكن له - مثلاً - خلفية دراسية جامعية، أو مركز مرموق وسط الجماعة الدينية، يعطيه الإحساس بالراحة والأمان في العمل، لكنه كان بسيطاً ومنخرطاً تماماً في حياة عادية .. لقد عاش، بالفعل، الحياة التي كان يدعو الآخرين لها.

وإذا أردنا أن ندخل إلى عمق أبعد في محاولتنا لاستكشاف أي نوع من البشر كان المسيح؛ سنجد أن الاكتشاف المذهل هو في ذلك الإحساس الحقيقي الذي كان لديه "بالسلطان" الممنوح له .. وهذا هو نفس الاستنتاج الذي وصل إليه، بالفعل، أول من رافقه واكتشف شخصيته وهم تلاميذه .. وسوف يبقى، كذلك، هو نفس الاستنتاج على مر القرون المقبلة بالنسبة لكل من يرتبط به.

ولكن، وفي نفس الوقت الذي حمل فيه كل

هذا السلطان، أثار حوله حقدا وعداء شديدين .. وأخيرا، ذاق نهاية مرة وقاسية لحياته .. فعندما وصل إلى ريعان شبابه (حوالي ٣٣ عاما)، نفذ فيه حكم الموت علنا!! وكم كان المشهد قاسيا آنذاك: كثير من الرعاع والغوغاء يلعنونه .. وقليل جدا من الأصدقاء الموجودين من بعيد، وعلى استحياء!!

ولكن .. ترى، لماذا اجتمع عليه كل هؤلاء الأعداء؟! وللإجابة على هذا السؤال، ربما نحتاج إلى أن نبحث جيدا فيما أتى به يسوع من تعليم.



(٦)

ما هو المقصود بملكوت الله؟!

٦ - ما هو المقصود بملكوت الله؟!

من المؤكد أن الكثيرين منا يتطلعون في السنوات الأولى من الألفية الثالثة، نحو بداية جديدة في حياتهم في هذا العالم الجديد .. وتتكرر هذه المحاولة في كل جيل تقريباً، لكننا، اليوم، نعاصر مناسبة فريدة بقدوم عام ٢٠٠٠، كعلامة زمنية مميزة، تُعطي الإيحاء بشيء مختلف، وبصفحة جديدة في التاريخ.

والمسيح أيضاً تكلم عن "عالم جديد" .. ذلك الذي كان يطلق عليه دائماً "ملكوت الله" .. لقد كان ذلك التعبير، دائماً، هو ما تحمله إلينا الأمثال التي رواها لنا، وما تعنيه حياته التي عاشها بيننا.

لذلك .. نقرأ كلمات المسيح في "إنجيل مرقس: وهو يقول: "قد كمل الزمان .. واقترب ملكوت الله فتوبوا وآمنوا بالإنجيل".

إن هذه الكلمات القليلة تشرح حياة المسيح

ورسالته الفريدة .. وهنا، يمكن أن نقول إن تعبير "عالم جديد" له مرادف في تعليم المسيح، وهو "العالم الذي يحكمه الله" .. بالعدل والسلام. إنه العصر الذي يتجلى فيه الله، وتصلنا أخباره وبشارته السارة .. فقط لنلتفت حولنا ونلتقط تلك البشارة.

بالتأكيد لم يكن المسيح يعني "بالملكوت" "المملكة" بالمعنى السياسي المألوف، لكنه، وفي الحقيقة، حينما استخدم هذا التعبير، قلب مفهوم "المملكة" تماماً، فهي ليست "الدولة الملكية" القديمة التي يتربع على عرشها ملوك عظماء، يتوارثون حكم أفراد بؤساء تطأهم الأقدام وتحتقرهم .. ولا هي "المملكة" بصورتها الحديثة، كالمملكة المتحدة البريطانية - مثلاً - أو سلطنة عمان .. الخ. لكن كلمة "الملكوت"، كما جاءت على لسان المسيح، كانت تصف سيادة الله على قلوب الناس .. وهي لا تمارس بالسيادة المستبدة، لأن الانتماء تحت راية هذه السيادة في هذا "الملكوت" لا يتم إلا بإرادة حرة واستجابة حقيقية لحب الله.

إن كل واحد منا بإمكانه أن يتجاوب مع دعوة الحب هذه .. "فالمملكة" مفتوحة لكل واحد، مهما كان موقفه أو مكانته في ممالك العالم الحاضر .. وهنا، نؤكد إن الحرية في الاستجابة للدعوة، تمثل عنصرا حاسما في تعاليم المسيح.

> "فالملكة" مفتوحة لكل واحد، مهما كان موقعه أو مكانته في ممالك العالم الحاضر..

لقد ولد المسيح في عائلة يهودية - كما نعلم .. وكان الناموس اليهودي (التوراة) يمثل شيئا هاما بالنسبة له .. وككل أقرانه، كان يحاول طاعة تعاليم الناموس .. لكنه كان عليه حفظ وطاعة حوالي ٦١٣ قاعدة في قوانين الناموس!! مما كان يمثل عبئا صعبا على الناس من عامة الشعب.

لذا .. وفيما بعد صار المسيح يهاجم الناموسيين وواضعي تلك القوانين، فهم يحزمون أحمالا ثقيلة ... ويضعونها على أكتاف الناس وهم لا يريدون أن يحركوها بإصبعهم!

ومازالت النواميس، والقواعد المختلفة، والقيود، هي المشاكل الأساسية في كل ديانات

العـالم اليـوم .. أمـا في المسـيحية، فالمشـكلة الحقيقية تكمن في أن النـاموس قـد يقـف حـائلاً أمـام اختبـار محبـة الله غـير المشـروطة، والـتي أظـهرها في المسـيح ابنـه وكلمتـه المتجسـدة .. وبـدلاً مـن أن يصبـح النـاموس بابـاً مفتوحـاً، بـه ندخـل إلى جـوار الله؛ نجده وقـد أصبـح حـائلاً بيننـا وبينـه!

أعظم وصية

إذا طـالعت مـا كتـب عـن المسـيح في الأنـاجيل؛ يمكنـك أن تلاحـظ أن تعليمـه عـن الملكـوت يخلـو تمامـا مـن التقيـد الحـرفي بالنـاموس .. حيـث لا تجـد قائمـة محـددة مـن القواعـد الواجـب علـى كـل مؤمـن أن يطيقـها ويتتبعـها خطـوة خطـوة، حتـى ينـال الخـلاص .. فقـط يقـول المسـيح "توبـوا وآمنـوا بـالإنجيل (البشارة السارة)" .. بـل إنـه اختزل النظـم المعقـدة لشـرائع اليـهود إلى اثنتـين فقـط: (أن تحـب الـرب إلهـك مـن كـل قلبـك .. وأن تحـب قريبـك بقـدر مـا تحب نفسـك)، وهاتـان همـا الوصيتـان المطلـوب مـن كـل فـرد في الجنـس البشـري أن يحفظـهما، مـهما كـانت الاختلافـات في الثقافـة أو القـدرة أو العقيـدة

.. أما من ينظر إلى الله، كما لو كان رجل شرطة يعكر صفو حياة الناس، فقد جانبه الصواب .. فالكتاب المقدس لم يعلن لنا إلا عن شخص الله صاحب القلب المحب.

> "لقد كانت لأقوال المسيح انعكاسات جذرية على المجتمع آنذاك .."

لقد كانت لأقوال المسيح انعكاسات جذرية على المجتمع آنذاك .. فقد نادى "للمأسورين بالإطلاق" .. و"للعمي بالبصر" .. و"للمنسحقين بالحرية" .. كما نادى "بسنة الرب المقبولة". وكما كانت تعاليمه تدعو إلى التحرر من الناموس، وجدنا أيضا أفعاله تؤيد ذلك، فرأيناه يخالط العشارين (جباة الضرائب)، والخطاة، والزناة، ومرضى البرص، والمسحوقين، وحتى السامريين وغير اليهود، وكل من هم "من خارج الحظيرة" - في نظر اليهود المتزمتين في ذلك الوقت!

كان المسيح هو الشخص الذي انحازت رسالته نحو المحرومين والمعوزين .. وتستطيع أن تلمس حنانه، وشفقته، ورقة حديثه، لكل من هم في أزمة .. فلم يكن يوبخ من كانت حياتهم في فوضى، لكنه وجه غضبه لأولئك الذين يتسببون

في العثرة الأخلاقية لصغار النفوس.

نلاحظ، أيضا، في كل أقواله، وأفعاله، وأمثاله، مشاعر الشفقة تجاه المتحيرين والذين ضلوا الطريق.

ولقد تميز أسلوب حياته بطابع هام جدا، ألا وهو سماحة النفس غير العادية، والتي أهلته لأن يغفر لكل من يؤذيه، ويمتنع عن رد الإهانة .. بل ويساعد من يعيشون على هامش المجتمع أن يشعروا بقبول الآخرين لهم .. كان يسلم كل شيء لأجل امتداد ملكوت الله ..

وتلك هي صفات المسيح الجديرة بأن تظهرها الكنيسة، وإلا فإنها تكون قد خذلته وتخلت عن مسئوليتها نحو الجميع .. فالمسيح قدم حياته بالكامل للآخرين.

من الطبيعي لكي ننفتح نحو العمل العجيب لنعمة الله في الحياة، فإن الأمر يحتاج إلى المخاطرة والرهان على أشياء غير ملموسة! وهذا ما أيده المسيح، حينما

قال إن الذين يبحثون عن ملكوت الله؛ سيجدونه .. لكنه دعانا؛ لكي نكون مثل ذلك التاجر الذي يبحث عن لؤلؤة ثمينة، وحينما يجدها؛ فهو يبيع كل ما يملك، من أجل أن يحصل عليها ويمتلكها .. وهكذا نحن، عندما نخسر كل شيء؛ فإننا - بذلك فقط - نربح الكل ونصير بالحقيقة أحرارا.

"يركز الإنجيل على الملكوت الذي يحيط بنا، هنا، والآن."

كيف تصبح حرية المسيح حقيقة واقعة؟!

لقد كان المسيح يؤمن، على الأرجح، بأن ملكوت الله سيمتد يوما، ليعم كل الناس .. ولكن، وفي نفس الوقت، فإن الإنجيل يركز على "الملكوت" الذي يحيط بنا، هنا والآن، دون أحداث درامية فجائية هائلة - كما لو كان انقلابا من السماء.

وفي الأمثال التي رواها المسيح، نجد تركيزا مدهشا على معنى "الضآلة" أو "الصغر" أو "عدم الأهمية" .. حيث نجد - على سبيل المثال - أنه حكى المثل الخاص بـ "حبة الخردل"، التي كانت

تعتبر أصغر الحبوب على أرض فلسطين، وبهذه الصفة كانت تعبر عن أقل الأشياء أهمية .. ومع ذلك، تنبت منها شجرة كبيرة، تستظل الطيور بها وتتخذ من أغصانها مأوى.

وهكذا .. فإن لكل شخص مكان في ملكوت الله .. من الأعظم إلى الأصغر .. من طبقة النبلاء والمشهورين، أو من عامة الشعب، أو رجل الشارع العادي.

وهناك صورة أخرى استخدمها المسيح، وهي صورة "الخميرة" التي تخمر العجين .. فالخميرة الصغيرة تصنع خبزا يكفي جوعى كثيرين .. وهكذا، "ملكوت الله" كما عبر عنه المسيح .. فقط دعه يتولى أمرك؛ فسيغير أكثر الأمور بؤسا، ويحولها إلى شيء عظيم حقا.

لا توجد مملكة في العالم لها مثل هذا الراعي العظيم .. وكما قال لي أحدهم، فإن المذهل في "ملكوت الله"، كما صوره المسيح، هو أنه ليس له "ملك" بل "آب" سماوي!



(٧)
ماذا عن "الصلاة الربانية"؟!

٧- ماذا عن "الصلاة الربانية"؟

يتطرق بنا الحديث إلى "الصلاة" التي علّمها المسيح لتلاميذه .. وهي تمثل، بالنسبة لنا، هبة عظيمة لا تضاهيها أية عطية أخرى، وهي التي تُسمّى "الصلاة الربانية"، والتي تقول:

"أبانا الذي في السموات ..
ليتقدس اسمك، ليأت ملكوتك ..
لتكن مشيئتك ..
كما في السماء، كذلك على الأرض
خبزنا كفافنا .. أعطنا اليوم
واغفر لنا ذنوبنا، كما نغفر نحن أيضاً
للمذنبين إلينا
ولا تدخلنا في تجربة ..
لكن نجنا من الشرير".

تتكون هذه "الصلاة الربانية" في إنجيل متى من ٣٣ كلمة .. لكنها ٣٣ كلمة ثمينة، كانت سنداً عظيماً لملايين البشر في كل الأحوال، عبر الأزمان .. في الحرب أو السلم .. في المجاعة أو الرخاء ..

في وقت الشدة أو وقت الفرح ..

وأتذكر، هنا، أننا صلينا هذه الكلمات في مناسبة خاصة حزينة، وهي جنازة "الأميرة ديانا"، "بكاتدرائية ويستمنستر" في يوم ٢ سبتمبر ١٩٩٧ .. وكان عليّ أن أقود الجميع في الصلوات، ومنها "الصلاة الربانية" .. ولقد قيل فيما بعد، إن حوالي ٢,٤ مليار شخص، حول العالم، قد شاهدوا هذه اللحظة على شاشة التليفزيون!! ولا يخالجني شك في أن هذا هو أكبر عدد من الناس، على الإطلاق، قد ردد "الصلاة الربانية" في وقت واحد معا .. وكان واضحا، دون أي لبس، لكل العالم، أن تلك الصلاة، كانت هي الكلمات المناسبة التي يجب أن تقال، عندما تعجز الكلمات الأخرى عن التعبير .. وكم تلقيت خطابات عديدة يقول بعضها ما معناه إننا شعرنا بأننا نستودع الأميرة ديانا في يد الآب السماوي.

ومما يذكر إن "الصلاة الربانية" ليست خاصة فقط بالمسيحيين .. فهناك كثيرون من أصحاب الديانات والمعتقدات الأخرى، قالوا لي إنه

"تخبرنا الصلاة الربانية عن من هو الله."

يمكنهم أن يرددوا كلماتها من كل قلوبهم .. وكان ذلك واضحاً تماماً في جنازة "الأميرة ديانا" .. فكانت بحق - كما قال أحد اللاهوتيين - "الصلاة التي امتدت أطرافها لتغطي العالم".

وتصلح "الصلاة الربانية" تماماً، لأن تكون صلاة تعليمية .. وكما يقول "البشير لوقا" في إنجيله، فإن التلاميذ طلبوا من المسيح، قائلين: "يارب علمنا أن نصلي" .. فلم يلق عليهم المسيح محاضرة، لكنه لقنهم تلك الصلاة، قائلاً: "متى صليتم فقولوا أبانا الذي ... إلخ".

ولنلاحظ في "الصلاة الربانية"، أنها كما تطرح احتياجاتنا البشرية (خبزنا كفافنا أعطنا اليوم)، فإنها أيضاً تخبرنا الكثير عن أبعاد العلاقة مع الله .. وكلمة "أبانا" هي الكلمة المحورية في هذه الصلاة، وهي لا تعني بالطبع المعنى البسيط للأب البشري، لكنها كلمة تصوِّر شخص الله وطبيعته .. فإذا فرضنا - جدلاً - أننا سألنا المسيح: "بماذا يمكن أن نُشَبِّه الله؟"؛ فسوف يجيب بأنه "كالوالد" الذي يرعانا.

فلنتقدم قليلا لنتأمل في تعبير ".. الذي في السموات"، فنجد أنه في الوقت الذي ننظر إليه باعتباره "أبانا"، إلا أننا نعرفه بطريقة تسمو عن كل العلاقات البشرية.

وفي باقي كلمات الصلاة الربانية، نستطيع أن نجد الطريقة التي ننمي بها ثقتنا في الله .. فاسمه يجب أن يكون محترما ومحبوبا (ليتقدس اسمك) .. وعلينا أن نصلي من أجل ملكوت الله؛ ليملأ قلوب الكل .. وأن نقبل مشيئته .. وعلينا أن نتطلع إليه، ليمدنا بغذائنا اليومي .. وكذلك، علينا أن نشكره على مغفرة خطايانا .. وأن نطلب، مقابل ذلك، نعمة منه؛ لنغفر ذنوب الآخرين .. كما نطلب أن نبتعد عن كل "تجربة" تقودنا إلى الخطية أو الشر.

"إن الصلاة تنمي بالفعل ثقتنا بالله."

وأخيرا .. علينا أن نقر بأن الملكوت - الذي هو موضوع الصلاة - هو "ملكوت الله" الأبدي.

ولكن السؤال الأخير هنا، هو: "ألا نشعر بحزن دفين، بسبب حرمان الكثيرين من هذه

> ”كلمة "أبانا" في أصل اللغة الآرامية هي "Abba" (بابا) كما ينطقها الطفل.“

الصلاة، والذي يعني الحرمان من امتلاك شيء ثمين؟! وما هذا الشيء الثمين سوى "الرجاء"، الذي صار عزيزاً في هذه الأيام.

"الصلاة الربانية" كانت ومازالت، نبعَ إيمان ورجاء بالنسبة لأجيال عديدة من البشر - أياً كانت قوة إيمانهم الحقيقية .. فهي تحمل في داخلها قوة تساند وتعضد الإنسان في اللحظات الحالكة في حياته.

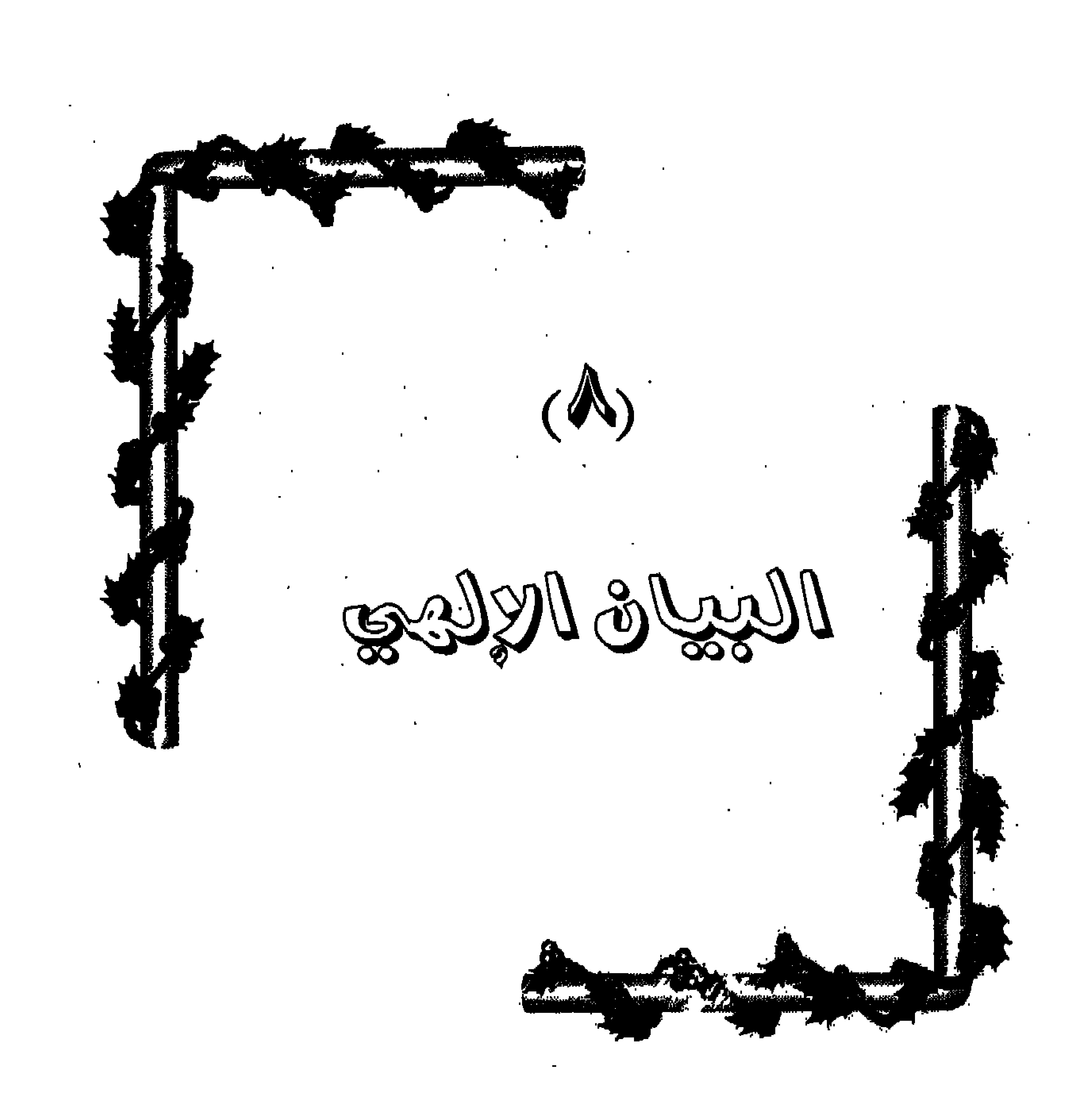
ولكن .. ما هو مصدر الرجاء في الصلاة الربانية؟!

توجد ملحوظة، من المناسب أن أذكرها الآن، وهي أن كلمة "أبانا" في أصل اللغة الآرامية المنطوقة بها هذه الصلاة، هي "Abba" (بابا) كما ينطقها الطفل .. إذن، فهي تعبير عن الثقة .. ولا يخفي علينا ما يتمتع به الطفل من مشاعر الحماية والأمان، عندما يكونٍ في حضن أبيه .. فإذا أضفنا إلى ذلك، أيضاً، الإحساس المتنامي بوجود أب سماوي؛ فإن هذا الإيمان كفيل بأن

يغيّر حياته تماماً.

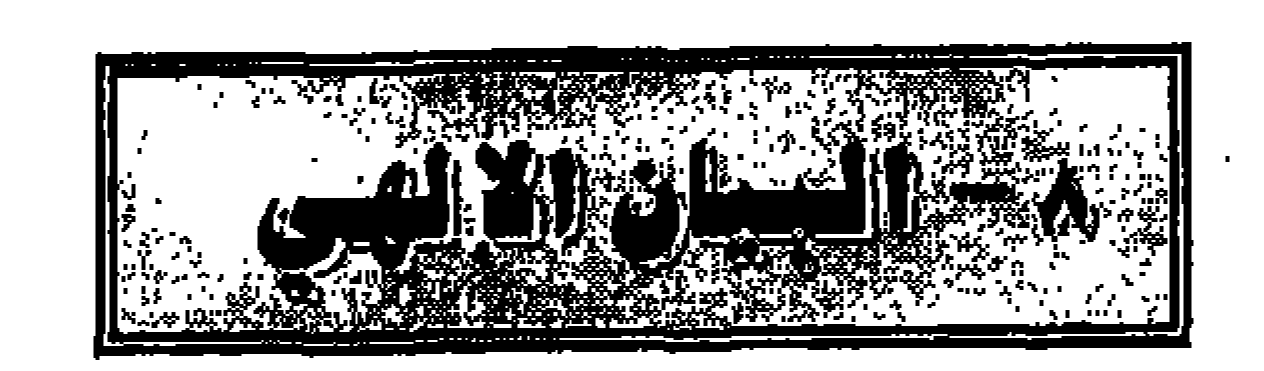
إن الإحساس بالاستقرار، والثقة والرجاء، بفعل الصلاة الربانية، يتغلغل في كافة جوانب حياة الإنسان من أولها إلى آخرها .. وكل ذلك من خلال ٣٣ كلمة فقط! فإذا تعلمتها الأطفال فإننا بذلك نمنحهم ميراثاً من الإيمان والرجاء والمحبة لا يُقدَّر بثمن ...

إنها الصلاة التي تؤكد إن لنا في هذا العالم الصعب والقاسي إلهاً يمنحنا حبه، وكذلك يمنحنا الثقة في أننا "مقبولين" في شخصه.



(٨)

البيان الإلهي



٨ – البيان الإلهي

إذا اعتبرنا أن "الصلاة الربانية" هي الصلاة الخاصة بملكوت الله، فإنه يمكن اعتبار "الموعظة على الجبل" هي البيان التفصيلي عن هذا الملكوت، لإعلان مبادئه وقيمه.

يلاحظ كل زائر للأراضي المقدسة، وجود كنيسة ثمانية الأضلاع، مقامة على جبل يسمى "جبل التطويبات" يطل على بحر الجليل. ويقصد بالشكل المثمن للكنيسة، التذكير بالتطويبات الثماني المذكورة في بداية "الموعظة على الجبل"، في الأصحاح الخامس من إنجيل متى.

وتمثل "الموعظة على الجبل" ملخصاً لتعاليم المسيح، والتي أكّد عليها عدة مرات خلال حياته على الأرض .. وقد جمعها "متى البشير" معاً؛ ليصبح لدى الكنيسة إطار قوي لتعاليم المسيح، حول قيم الملكوت أو كيفية السلوك بموجبها.

التعليم الأساسي للموعظة على الجبل

مع أن "الموعظة على الجبل" قصيرة نسبياً، إلا أن هناك آلافاً من الكتّاب سطروا أطناناً من الورق، عبر عدة قرون، في تحليل هذه الموعظة. ولا مجال، هنا، للدخول في مجادلات حول التفاصيل .. لكن دعونا نلقي نظرة على روح الكلمات التي قالها السيد المسيح فيها:

"طوبى للمساكين بالروح، لأن لهم ملكوت السموات.
طوبى للحزانى، لأنهم يتعزون.
طوبى للودعاء، لأنهم يرثون الأرض.
طوبى للجياع والعطاش إلى البر، لأنهم يشبعون.
طوبى للرحماء، لأنهم يرحمون.
طوبى لأنقياء القلب، لأنهم يعاينون الله.
طوبى لصانعي السلام، لأنهم أبناء الله يدعون.
طوبى للمطرودين من أجل البر، لأن لهم ملكوت السموات"

تلك كانت كلمات "التطويبات" .. ولقد أوجز المسيح في ثماني عبارات جامعة كل نوعيات

> ”من هم أصحاب الغبطة أو "الطوبى"؟ هل هم الأثرياء والمشهورون والناجحون والموهوبون؟ .. لقد استبعد المسيح هذا التصنيف!“

الناس الذين يستحقون البركة من الله.

وإذا سألنا أنفسنا من هم الناس المحظوظون أصحاب الغبطة أو "الطوبى"؟! ربما كانت الإجابة الحاضرة هي .. الأثرياء - المشهورون - الناجحون - الموهوبون .. أما المسيح، فقد استبعد هذا التصنيف! واختار هؤلاء:

المساكين .. والذين في حاجة إلى مساندة البشر ومساندة الله .. والذين يتوقون لرؤية العدل سائداً .. وأولئك الذين يحزنون، ويتعاطفون مع غيرهم .. وكذلك صانعي السلام .. ومعهم أنقياء القلب .. إلى جانب المستعدين لمواجهة الاضطهاد، من أجل كل ما هو حق وصحيح.

وهنا .. نلاحظ الطبيعة العكسية للملكوت، وما يتراءى لنا في أقوال المسيح أنه منطق معكوس، حيث اتجاه تعاليمه إلى "غير المألوف"، بالنسبة لعصره، وحتى في عصرنا اليوم.

يقـول المسـيح عـن هـؤلاء النـاس أنـهم "الملـح" الـذي يحفـظ المجتمـع مــن الفسـاد، و"النـور" الـذي يضـيء العـالم المظلـم.

ولقـد كـان مــن الطبيعــي أن يضطـر المسـيح - في معـرض حديثـه عـن هـذه المملكـة غـير التقليديـة - أن يقــف في وجـه الأعــراف والتقــاليد السـائدة في ذلـك الوقـت. أي أنـه كـان يتحـدى الطريقـة الـتي يتـم بـها تفسـير شـريعة الله في النصـوص العبريـة.

ويـرى الكثـيرون أن تعليـم المسـيح كـان هجومـاً صريحاً على يهوديـة ذلـك العصـر، لكنـه في الحقيقـة كـان يحـاول، ببسـاطة، أن يحـوِّل الـتركيز نحـو شـيء مختلـف؛ إذ أنـه أراد أن ينفـذ بالنـاموس إلى قلـوب النـاس - وليـس إلى تصرفاتـهم الخارجيـة فقـط .. وإليكم بعض الأمثلـة من كلامـه:

"قد سمعتم أنه قيل لا تقتل. ومن قتل يكون مستوجب الحكم

وأما أنا فأقول لكم إن كل من يغضب على أخيه باطلا يكون مستوجب الحكم. ومن قال لأخيه رقا يكون مستوجب المجمع. ومن قال يا أحمق يكون مستوجب نار جهنم ..

قد سمعتم أنه قيل للقدماء لا تزن.

وأما أنا فأقول لكم إن كل من ينظر إلى امرأة ليشتهيها فقد زنى بها في قلبه ..

أيضا سمعتم أنه قيل للقدماء لا تحنث بل أوف للرب أقسامك.

وأما أنا فأقول لكم لا تحلفوا البتة ...

سمعتم أنه قيل عين بعين وسن بسن.

وأما أنا فأقول لكم لا تقاوموا الشر بل من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا ...

سمعتم أنه قيل تحب قريبك وتبغض عدوك.

وأما أنا فأقول لكم أحبوا أعداءكم باركوا لاعنيكم أحسنوا إلى مبغضيكم وصلوا لأجل الذين يسيئون إليكم ويطردونكم" (متى ٥: ٢١، ٢٢، ٢٧، ٢٨، ٣٣، ٣٤، ٣٨، ٣٩، ٤٣، ٤٤)

فلنتذكر، دائما، أن المسيح كان يسعى لتحطيم أي حائل يقف بين الله المحب وبين خليقته التي تحتاج إليه. وبكل الشوق، يريد أن .. نكون هناك علاقة شخصية، بينه وبين كل واحد منا.

لذلك .. لا يفيد في شيء، أن يسمع الناس تعاليم أخرى، لا تؤتي نفعا ولا تغير من أمر الناس، بل تزرع روح الكراهية والعنف في النفوس .. أما المسيح، فقد تكلم دون مواربة، وربما بطريقة لا تخلو من الدعابة: "من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر أيضا. ومن سخرك ميلا فامشي معه ميلين. ومن أخذ ثوبك فاترك له الرداء أيضا. إن أعثرتك عينها فاقلعها".

"أما المسيح فتكلم دون مواربة، وربما بطريقة لا تخلو من الدعابة."

إنها كلمات مباشرة تنبض بالحياة .. لكن

... هـل تتصـف بالقابليـة للتطبيـق؟ وكيـف نفسـر أقوال المسيح، هذه، في "الموعظـة علـى الجبـل"؟

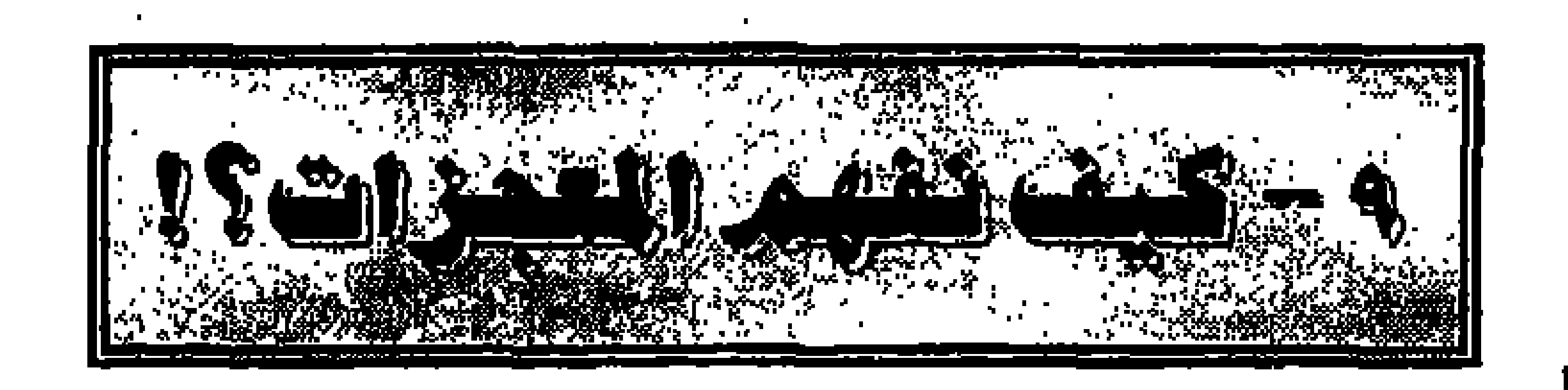
كمـا ذكرنـا مـن قبـل، فـإن المسـيح أتـى بتعاليمـه مـن واقـع الحيـاة العمليـة، حيـث كـانت متوافقة معـه، ترتكـز علـى مـا يختـبره الإنسـان عمليـا .. ولقـد عـبرت أمثالـه، أيضـا، عـن قصـص الحيـاة اليوميـة .. إلا أن تعاليمـه الـتي وردت في "الموعظـة علـى الجبـل"، فقـد بـدت مثاليـة بطريقـة شـبه مسـتحيلة، فكيـف يمكـن لأي شـخص أن يطيـع أو يحفـظ تلـك الوصايـا، غـير الملائمـة لطبيعـة البشـر - كما نظـن؟

وهنـا .. أذكركـم، مـرة أخـرى، بأنـه علينـا أن ننظـر إليـها مـن منظـور "الملكـوت" .. فالمسـيح لم يكـن يشـرع ناموسـا جديدا، لمـن هـم بـلا خطيـة، لكنـه كـان يقـدم إطـارا عامـا لطبيعـة السـلوك المفـترض، ممـن هـم مدعـوون لملكـوت الله.

وبالتـالي تتلخـص دعوتـه للنـاس، كمـا لـو كـان

لسان حاله يقول .. "إن تبعتموني؛ فها هي صورة الحياة التي أدعوكم إليها .. لن يتحقق كل شيء بالضبط دائما .. لكنه مقياس يلهمكم، ويشجعكم، ويقربكم إليها".


(٩)
كيف نفهم
المعجزات؟!



٩ - كيف نفهم المعجزات؟!

كان معروفاً عن المسيح أنه معلم .. لكنه، أيضاً، عُرف بقدرته على الشفاء وصنع الأعمال العظيمة التي نطلق عليها حالياً "المعجزات" .. وربما كان بعضكم يتململ، الآن، ويتمتم بنفاذ صبر، قائلاً: "لا أحد يؤمن الآن بالمعجزات! .. بل حتى بعض رجال الدين لا يثقون تماماً في حدوثها".

ولكن .. دعونا نعود إلى الكتاب المقدس؛ السجل الحقيقي لما قاله المسيح وما فعله .. فإذا كنا نصدق هذا السجل، فإننا، بالتأكيد، سنلاحظ أهمية عنصر الإعجاز في حيات المسيح وعمله. ولكن الكثيرين يخجلون من التصريح بذلك، ويحاولون المواربة بعيداً عنها.

ودائما ما يُثار بعض الجدل حول تفاصيل المعجزات .. ويقولون إنها مجرد إضافات زيدت على القصة الحقيقية لحياة المسيح، بازدياد

"إن المصادر المأخوذة من أصول وثنية تتحدث عن المسيح، باعتباره الرجل الذي "جال يصنع خيرا ويشفي الناس""

مريديه والمعجبين به .. ولكن هذا الكلام يفتقر إلى الدليل .. بل ما زال علماء الكتاب المقدس يقبلون "العلامات الخارقة" و"العجائب"، كجزء من قصة المسيح .. بل إن المصادر المأخوذة عن أصول وثنية تتحدث عن شخص المسيح، باعتباره الرجل الذي "جال يصنع خيراً ويشفي الناس".

ومما يُذكر، أيضاً، إن "إنجيل مرقس" - الذي تمت كتابته قبل باقي الأناجيل - يحتوي، فيما يقرب من ثلث عدد صفحاته، على القصص التي توضح قدرة يسوع المعجزية على الطبيعة، وكذلك على منحة الحياة للبشر.

وبديهي إنه إذا كان البعض منّا، اليوم، لديه قناعة بأن الإعجاز هو شيء مستحيل؛ فستواجهه صعوبة في الاقتناع بشخص المسيح! لأن الأعمال الجليلة العظيمة كانت تمثل محور حياته.

ولكي نحاور نزعة الشك الطبيعية داخلنا، دعونا نناقش الأمر من ناحيتين:

أولا: أميل إلى الاعتقاد، بأن المشكلة في عدم تصديق المعجزات ترجع إلى الطريقة التي ننظر بها إلى شخص المسيح .. فنحن، أحيانا، نصوره فقط في صورة الوديع المتواضع، دونا عن باقي الصفات .. وكذلك في المعجزات، نبحث فقط في القليل منها الذي يبدو صعب التصديق!

ولكننا لا ننكر أن هناك بعض العجائب التي تصدم العقل، لأنها ضد الطبيعة التي نفهمها .. كأن إنسانا يمشي على الماء مثلا! أو يهدئ العاصفة! وكيف يحدث ذلك؟! وكما كان مذهلا للناس أن يسمعوا أفكارا مثل "أحبوا أعدائكم! ... لا تنبذوا الأبرص!!"، كذلك كانت دهشتهم حينما أطعم الخمسة آلاف نسمة من مجرد خمس خبزات وسمكتين!

فإذا كانت هناك صعوبة في تصديق بعض الأعمال الإعجازية، التي رويت عنه في الوحي المقدس، إلا أننا لا نستطيع أن نتجاهل تعاليمه، وأسلوب حياته - التي بدت مختلفة تماما عما كان سائدا في ذلك الوقت، وما أحدثته من ردود

> ”كما كان مذهلا للناس أن يسمعوا أفكارا مثل "أحبوا أعدائكم! ... لا تنبذوا الأبرص!!" كذلك كانت دهشتهم حينما أطعم خمسة آلاف نسمة.“

أفعال هائلة في نفوس المحيطين.

ثانيا: في الوقت الذي نجد فيه أن العقل في العصر الحديث يقبل بصعوبة فكرة المعجزات، فماذا عن "الحياة" نفسها، ألسنا نتفق على أنها إعجاز خارق؟! كلنا يعرف أن الأمر لم يستغرق إلا ثوان معدودة، لكي تدب الحياة العاقلة في الكون بعد اكتمال الخليقة .. فإن لم يكن ذلك شيئا عجيبا، فما هو العجب إذن؟!

نعود إلى رسالة المسيح أو مهمته السماوية، وما تضمنها من معان إعجازية .. فقد كانت أناجيل "متى" و"مرقس" و"لوقا" تصف ما فعله بأنها أعمال عظيمة وجليلة (أو عجائب) .. بينما وصفها "إنجيل يوحنا" بأنها "علامات خارقة" أو "آيات" .. ولكن ما يهمنا، هنا، هو أنه لم يجر المعجزات لكي يثبت فقط أنه ابن الله، فهناك أنبياء آخرون، في ذلك الوقت تمت على أيديهم معجزات .. ولكن "مرقس" ذكر في إنجيله إن المسيح كان يرغب، دائما، في تهدئة أي "ضجيج إعلامي" بسببها، وطلب من الناس ألا يخبروا

الآخرين، قائلا: "لن يعطى هذا الجيل آية".

لماذا صنع المسيح المعجزات؟!

إن الإجابة، ببساطة، هي أن تلك المعجزات كانت من جهة المسيح تمثل علامات (أو آيات) ملكوت الله .. فإذا كان "الملكوت" يعني سيادة الله؛ فإن تلك الأعمال كانت من العظمة والإعجاز بحيث تشير بوضوح إلى عمل الله .. كما كانت وسيلة لإعلان الخبر السار، بحلول الملكوت على الأرض، من خلال شخص الرب يسوع - وإن كانت وسيلة غير مألوفة، تغير الحياة رأسا على عقب.

> "من الضروري ألا نبالغ في تضخيم الجانب الإعجازي في خدمة ورسالة المسيح"

ولكن .. من الضروري ألا نبالغ في تضخيم الجانب الإعجازي، في خدمة ورسالة المسيح .. لأن هذا الجانب ليس هو العنصر الوحيد في حياته .. حيث نجد العجائب العظيمة - مثلا - تحتل الجزء الأول، فقط، في "إنجيل مرقس"، ثم تتراجع إلى الخلف قليلا عندما يوشك المسيح من دخول أورشليم واقترابه من لحظة النهاية .. وبالتالي، فعندما نصل إلى قمة المشهد الحزين؛ يتحول

المسيح الجبار العظيم إلى المسيح المصلوب! وقد تخلى عنه الجميع، ليلقى مصيره الأليم!

وخلاصة الأمر: إن اهتمامنا بمناقشة معجزات المسيح، يجب أن يأتي تاليا لاهتمامنا بشخصه هو .. فإذا نظرنا إليه، فقط، على أنه رجل صالح ذو صفات مقدسة شخصية قيادية جذابة، فستعتبر معجزاته مجرد أساطير منسوبة إلى بعض الكتاب .. أما إذا وصلنا إلى إيمان أكيد - مثل تلاميذه الأولين - بأن المسيح هذا، هو إعلان الله عن نفسه؛ فلن يصبح صعبا علينا أن نقبل فكرة القوة المعجزية الممنوحة له من الله، ليقهر الخطية والمرض والموت.

ولكن .. لم لا نؤجل الحكم على هذا الرجل، بعض الوقت، إلى أن نعرف المزيد عنه، كشخص، كان سببا رئيسيا في احتفالنا بقدوم الألفية الجديدة.



(١٠)

الموت: السر الأخير العظيم!

١ - الموت: السر الأخير العظيم!

لقد ناقشنا، حتى الآن، عدة حقائق هامة عن المسيح؛ فتناولنا حقيقة وجوده الفعلي في الحياة، وكذلك السلطان الذي كان يحمله، والرسالة الجريئة التي أبلغها للناس، وأخيراً الجانب الإعجازي في حياته .. ولكن كل تلك الحقائق، رغم عظمتها، إلا أنها ربما لا تخاطبنا بطريقة مباشرة. أما الحقيقة الهامة جداً، والتي لها صلة بما يحدث في "حياة" كلٍ منا، فهي حقيقة "الموت"!

"الحقيقة الهامة جداً، والتي لها صلة بما يحدث في حياة كل منا، هي حقيقة الموت!"

فالموت هو نهاية الحياة بالنسبة لكل واحد منا .. وتساهم هذه الحقيقة، بشكل أو بآخر، في تشكيل حياة كل فرد منّا .. لكن حقيقة الموت لم تكن هي النهاية في حياة المسيح .. وهذا هو أهم ما في الموضوع.

وقبل أن نتناول هذا الموضوع، هناك مشكلة يجب أن نتصدى لها .. فكما ذكرت من قبل، فإن أتباع المسيح الذين كتبوا قصة حياته في الأناجيل

الأربعة بالوحي المقدس؛ كتبوها بعد حادثتي الموت والقيامة .. ولقد آمنوا به، وكانت لهم الرغبة في أن يفعل الآخرون مثلهم .. فأصبحت الأناجيل تبدو للبعض، وكأنها وثائق اعتراف أو منشورات دعائية لإقناع الآخرين بيسوع المسيح! بل ذهب بعضهم إلى القول بأن الأناجيل الأولى تأثرت، في محتواها، بانحياز من كتبوها إلى فكرة أن المسيح هو الله؛ ولذلك ربما لا تمثل تسجيلاً حقيقياً للأسباب التي حدث بسببها موت يسوع!

"ذهب بعضهم إلى القول بأن الأناجيل الأولى تأثرت، بانحياز من كتبوها إلى فكرة أن المسيح هو الله."

وإن كنا نستطيع أن نتفهم تلك النزعة إلى الشك، إلا أننا لا نرى ضرورة لها .. فحتى لو افترضنا أنه كان مجرد رجل غير عادي، له مواهب متعددة كالفصاحة والشخصية القيادية الجذابة، وأن بعضاً من أتباعه أراد فيما بعد تنصيبه راعياً لطائفة جديدة، فإذا كانت تلك هي القصة؛ فإننا نرد على ذلك فوراً، بأن هناك في قصة المسيح شيئاً عجيباً ومدهشاً هو الذي أدى إلى ذلك التبجيل والمعاملة الخاصة .. فقد ظهر الكثير من الزعماء الذين لا تنقصهم الفصاحة والجاذبية والذكاء، لكن يسوع الناصري، وحده، هو الذي

حظي بهذا الاهتمام .. فلماذا؟!

أما عن نفسي، فلا يخالجني شك في أن قصة الصراع الذي تصاعد بين المسيح وبين السلطات في عهده، هي قصة صحيحة وتشير إلى خوفهم مما يواجههم من تهديد .. ويتبين لنا من استعراض حياة المسيح وسط الناس - كما جاءت في الأناجيل - إنه كان يثير الجدل، والتحدي الخطير للأمور الدينية المسلم بها في ذلك الوقت.

إن الأناجيل الأربعة تجمع على أن نقطة التحول في حياة يسوع هي قراره بالذهاب إلى أورشليم - للاحتفال بعيد الفصح كعادة سنوية .. وذلك رغم المؤشرات التي كانت تنبئ بأن الأمور لن تكون على ما يرام! .. وقد تحدث هو نفسه مع تلاميذه، حديثا حزينا ذا شجون حول اقتراب ساعة موته، مستخدما تعبير "الذبيحة" أو "الضحية" .. كما كانت تعاليمه من قبل، تتضمن إشارات إلى نفسه، باعتباره "المسيا" الذي سيقاد إلى الموت! والقائد الذي يضع نفسه، حتى الموت، لأجل أحبائه.

> *"كان (المسيح) يثير الجدل، والتحدي الخطير للأمور الدينية المسلم بها في ذلك الوقت."*

لذلك .. علينا أن نرفض ما يقال حول اضطرابه في تلك اللحظة .. بل إن الصورة كانت لرجل قدوس بار، يتطلع للذهاب إلى أورشليم، تحذوه رغبة نبيلة في الانضمام إلى الآخرين، في الاحتفال الديني السنوي.

لقد كانت هناك عدة أخطار تحدق بالمسيح، وهو في طريقه إلى أورشليم .. فالمناسبة لم تكن دينية فقط، بل كانت تحمل مظاهر قومية وعسكرية، لتوافقها مع ذكرى خروج إسرائيل من مصر، وفي نفس الوقت، كانوا يرزحون تحت حكم الرومان. فكان الطريق غير آمن، بالنسبة لشخص اشتهر بدفاعه عن المضطهدين.

وأيضا، كان تعليم المسيح عن "الملكوت" يمثل ثورة في ذلك الوقت. وقد تجلت المواجهات الصريحة بينه وبين السلطات في الأسبوع الأخير من حياته، حيث كان الملكوت الذي يدعوا إليه يمثل الفكرة الأساسية في الصراع .. وكان من الممكن أن يكون ذلك ذريعة، لكي تتهمه السلطات بمحاولة قلب نظام الحكم .. لكن المسيح

اختـــار، بمـــهارة، أن ينفـــي النعـــرة القوميـــة في تعليمـه، بـأن دخـل أورشـليم علـى مـتن حمـار صغـير .. وكـان هدفـه هـو الوصـول إلى قلـب المدينـة .. فكـانت تلـك الترتيبـات إعلانـا عـن أنـه ليـس مجـرد قـائد مـاهر، جـاء في مكـان وزمـان غـير مناسـبين .. لكنـه اختـار، عمـدا، أن يذهـب إلى هنـاك ليحمـل خطايا العـالم!

"لم يكن مجرد قائد ماهر جاء في مكان وزمان غير مناسبين لكنه اختار عمدا أن يذهب إلى هناك ليحمل خطية العالم"

لماذا مات المسيح؟!

ومـرة أخـرى .. يحـدث مـا يؤكـد إن أفكـار المسـيح عـن "ملكـوت الله" خـالفت كـل التوقعـات البشـرية .. وذلـك، مـن خـلال حديثـه أثنـاء "العشـاء الأخـير" الشـهير، عـن اقـتراب لحظـة موتـه. وفي حديثـه، أيضـا، يتضـح لنـا إن شـخص المسـيح نفسـه، كـان هـو بدايـة الملكـوت.

و"عشـاء الفصـح" هـو تقليـد يـهودي، لكـن المسـيح قصـد بـه دلالـة أعمـق .. فقـد أخـذ بيديـه خـبز العشـاء، وقـال لتلاميـذه: "هـذا هـو جسـدي" .. وبالتـالي، لم يعـد الفصـح هـو تقديـم ذبيحـة الحمـل -

كمـا في الشـرائع القديمـة، بـل المسـيح نفسـه! وكذلـك تنـاولوا الكـأس بعـد قولـه: "هـذا هـو دمـي الـذي للعـهد الجديـد الـذي يسـفك مـن أجـل كثـيرين .. لا أشـرب بعـد مـن نتـاج الكرمـة إلى ذلـك اليـوم حينما أشـربه جديـدا في ملكـوت الله".

وكـان العـهد السـابق بـين شـعب الله في العـهد القديـم والله، يتـأكد بـرش دم الذبيحـة، ولكنـه الآن، صـار "دم المسـيح" نفسـه هـو الفصـح.

وفي اعتقـادي، أن في هـذه النقطـة بـالتحديد، يكمـن المحـور المركـزي الروحـي لحيـاة المسـيح ومماتـه وميراثـه التعليمـي والخلاصـي .. لقـد كـان يشـعر بمـا هـو مقبـل عليـه، حيـث كـان ينظـر إلى مماتـه الوشـيك كذبيحـة مقدمـة إلى الله عـن خطايـا البشـر جميعـا. وهـذا هـو مـا أدركتـه الكنيسـة فيمـا بعـد.

ورغـم أن علمـاء اللاهـوت لم يتفقـوا فيمـا بينـهم علـى المعنـى الدقيـق لتلـك التضحيـة، إلا أن هنـاك قبـولا عامـا، منـذ البدايـة، بـأن مـوت المسـيح كـان هـو التقدمـة الـتي قدمـت مـن أجلنـا أمـام الله الآب، وهـي

"(في كون المسيح ذبيحة فصح) يكمن المحور المركزي الروحي لحياته ومماته وميراثه التعليمي والخلاصي"

التي صنعت عهدا جديدا - من خلال الدم - للمصالحة بين الله وبين البشرية .. وبهذا، أصبح ممكنا أن نعرف الله شخصيا.

وحتى الآن، مازالت ذكرى هذا "العشاء الأخير" تمارس بأمانة (في خدمة الشركة المقدسة أو العشاء الرباني) في جميع الكنائس على وجه الأرض، باعتبارها سرا مقدسا أو علامة على العهد والملكوت الجديدين .. وكثيرا ما أشعر بالرهبة، حينما أدرك هذه الحقيقة الهائلة، وهي أن هذا الأمر ظل مستمرا، دون انقطاع، منذ بدأه المسيح وحتى اليوم .. واستمر هذا الطقس الروحي يمارس في كل أنحاء العالم، ولمدة ألفي عام .. مما يمثل ظاهرة فريدة في تاريخ البشرية .. وما كانت تستمر، إلا لأن صانعها ومؤسسها هو المسيح ..

ثم بعد ذلك العشاء .. أخذوا يسوع إلى الموت!

لماذا أدين وحكم عليه بالموت؟

هناك دائما إجابة روحية لاهوتية على هذا السؤال، وهي أن المسيح مات من أجلنا ومن أجل خطايانا؛ كي يدفع ثمن سقوطنا وشرورنا، وليعيد الصلة بين البشر وخالقهم. والكنيسة تعلن هذا الحق، دائما، باعتباره أساس الإيمان المسيحي.

وهناك، أيضا، إجابة قائمة على الحقائق التاريخية .. وأود أن أنبه، هنا، إلى أنه يجب ألا نهرب من الأمور المثيرة للجدل، لأن المسيح نفسه لم يكن يهرب منها - بل كان يواجهها. ولقد كانت تعاليمه والطريقة التي كان يعلم بها مثيرين للجدل .. فالمعنى وراء "ملكوت السموات"، هو تقويم الخطأ، ورفعه المحتقرين إلى منزلة أعلى .. ورغم أنه لم يكن من المعتاد أن تعلن هذه الأمور الخاصة على الملء، إلا أن المسيح قد أعلنها بجرأة ومهارة! فأثار استياء الذين انتقدهم .. وبالنسبة للسلطات الرومانية ورؤساء اليهود في الدين، لم تكن هناك مساحة للأصوات المخالفة أو المعارضة .. فكانت، بذلك، حياة المسيح قصيرة، بسبب

"كانت حياة المسيح قصيرة بسبب العداءات الكثيرة التي تسببت له."

العداءات الكثيرة التي تسببت له .. وبذلك، نفهم الإجابة التاريخية على السؤال السابق.

ولا نستطيع، رغم ذلك، أن نقول إن تعاليمه الجديدة وحدها هي السبب في تلك العقوبة القاسية: الصلب العلني .. إلا إذا كان مذنبا بسبب جرم أخطر .. ربما ادعائه بأنه "المسيا المنتظر"! فإذا كان الأمر كذلك، فيمكن إدانته بتهمة إدعاء الألوهية! وإن كان هناك من قد ادعوا نفس تلك الادعاءات، في ذلك العصر، لكنهم لم يثيروا الانتباه، لأنهم لم يأتوا بجديد، ولم تكن حياتهم مثيرة للجدل بهذا القدر.

لقد كانت "جريمة" المسيح، أيضا، أنه رفض أن يصنفه الناس كمتطرف سياسي، أو أنه مهووس ديني، أو رجل حالم - لا ضرر من ورائه .. وبحسب مقياس الوقت الحاضر، فإنه لا يليق مقارنته بصورة الكاهن كما تعرضه الأفلام المشوهة للمسيحية .. ولا يمكن اعتباره قضية قد انتهت، فتوضع على الرف!

وإن كان اليهود قد اعتبروا أن المسيح يدعي بأنه هو "المخلص المنتظر" من العبودية السياسية .. إلا أنه كان يدعو لنوع من الحرية لم يفهمه الكثيرون .. ويحكي لنا "البشير لوقا" في إنجيله أن عظته الأولى في المجمع اليهودي في الناصرة - بدأت بأن قرأ الجزء المعين من سفر إشعياء حول "المسيا الآتي"، ثم طوى السفر قائلا: "إن اليوم قد تم هذا المكتوب" .. وبذلك، لم تكن تلك هي الصورة المثيرة التي توقعها الكثيرون للطريقة التي يتدخل بها الله لينقذ شعبه! أما المسيح، فقد مضى في طريق ثورته الهادئة.

وبتأمل الظروف التي صاحبت لحظات الحكم بالموت، نلاحظ أن السلطات الرومانية ما كانت تحكم عليه بالصلب استجابة لطلب رؤساء اليهود؛ إلا لو كان للرومان أنفسهم الأسباب التي تدفعهم إلى ذلك .. فأصبحت إدانته مزدوجة من الطرفين .. فبالنسبة لليهود، كانت تعاليمه تمثل مساسا بالذات الإلهية في نظر الناموس .. وبالنسبة للرومان، فقد كانوا مستعدين لإخماد أي دعوة للعصيان، بسبب تعاليمه التي اعتبرت مضادة

لسلطات الاحتلال.

وأيا كانت التفسيرات التي أوردناها استنادا للأناجيل .. فإن المسيح كان مقدما على الموت، تحديدا، بسبب أفكاره التي وضعته في موضع الاشتباه .. وكانت نهايته قريبة بسبب تحديه للأفكار السائدة، وقتئذ، عن الحياة والسلوك.

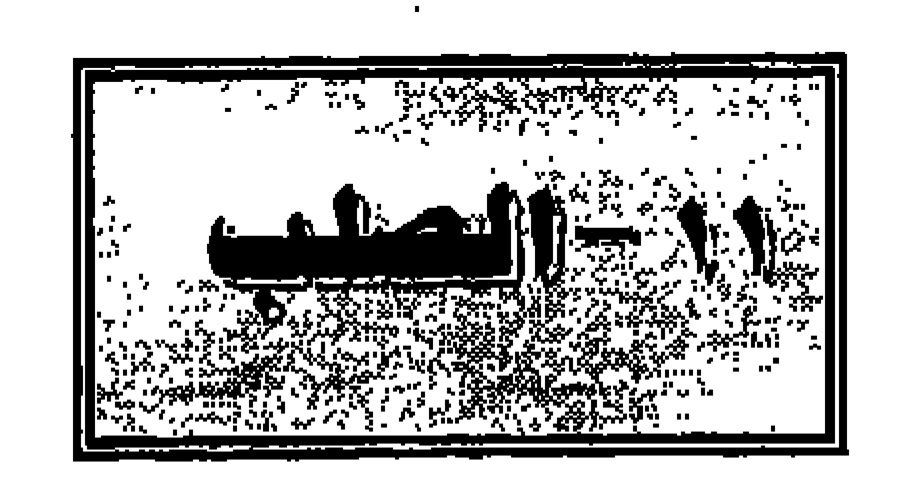
ولكن .. بقيت، مع ذلك، أفكار أخرى سلبية تحتاج أن تهدم.

> "كانت نهايته قريبة بسبب تحديه للأفكار السائدة عن الحياة والسلوك."



(١١)

الصلب



١١- الصلب

> "ولقد كان موت المسيح مؤلمًا .. وبطيئًا .. ومُذِلًا .. حيث كان الصلب، في ذلك الوقت، وسيلة معروفة للموت ..."

لقد كان موت المسيح مؤلماً .. وبطيئاً .. ومُذِلاً .. حيث كان الصلب، في ذلك الوقت، وسيلة معروفة للموت، تُستخدم خصيصاً بصورتها المرعبة كوسيلة تحذير وردع لكل من يُهدِّد سلام المملكة .. بنفس الطريقة التي استخدم فيها الشنق علناً، في عصور لاحقة في بعض البلاد .. كما كان المجرم المصلوب، فوق ذلك التعذيب، يُمثَّل بجسده بعد موته.

والمغزى وراء صلب المسيح، كان في جسده .. فمن ذا الذي صُلب؟! أهو شخص الله؟! دعونا نتوقف هنا لحظة.

تضاربت الأقاويل والادعاءات حول شخصية المصلوب .. ما بين أساطير يونانية، ووثنية .. ورؤية اليهود أنفسهم للحدث، باعتبارهم أول من عرف بأن المسيح هو رب، رغم أنهم لا يملكون في تراثهم أي فكر عن التجسد - أي حلول الآلهة في

جسد بشري .. وبذلك، لم يكن من السهل على تلاميذ المسيح أن يعترفوا بأن المسيح هو ابن الله.

والصعوبة هنا، ليست، فقط، في ظهور الله في الجسد، ولكن أيضاً في قبول فكرة أن يتعرض هذا الجسد للقتل وما يتبعه من فناء الجسد .. ومن هنا، نأتي إلى الاعتقاد بأنه لم يكن معقولاً أن يؤمن التلاميذ بألوهية المسيح - وقد رأوه وهو يصلب .. إلا أنهم وثقوا بصحة ذلك فعلا .. وفوق ذلك، أعلنوا أيضا عن صحة قيامته.

وهنا .. أود أن أقول، وبكل صراحة، إنه إذا كنا على يقين من أن المسيح قد عاش بالفعل في الجسد، وكان معلما قديرا، وأجرى معجزات مدهشة، وصلب على الصليب؛ إلا أن هناك، بالفعل، صعوبة تواجه البعض في تصديق أن الله قد أقامه من الأموات!

ولكن ... أرجو عدم التسرع في الحكم على هذا الكلام .. فنحن لا نشكك في قيامة المسيح

إطلاقا، بل إنني أقر أنني أؤمن تماما، بأن الله قد أقام المسيح من الموت .. وسأناقش ذلك حالا. لكنني أعترف بأن إيجاد البراهين على صحة القيامة، أصعب بكثير من البراهين على حياة المسيح وصلبه! فالموت يحدث لكل فرد، أما القيامة فهي عكس كل المفاهيم البشرية.

ونحن، هنا، لا ندفع الإنسان دفعا للإيمان بصحة القيامة دون مناقشة .. لكننا نوضح إنها، فعلا، كانت جزءا من قصة "ملكوت الله" والتي جسدها المسيح بصورة مخالفة لكل انتظارات البشر .. وكما قلب .. المسيح موائد الصيارفة في الهيكل، كذلك قلب .. كل التوقعات بحياته وموته .. أما قيامته، فقد كانت انتصارا على الموت .. وهي، فعلا، شيء صعب التصديق.

بل يحتاج الأمر إلى خطوة شجاعة بالإيمان نحو تصديق حقيقة القيامة .. ويحتاج، أيضا، إلى رغبة إرادية في قبول طرق الله، بجانب بعض الاعتبارات التي سنناقشها وقد تساعد على ذلك.

„ إيجاد البراهين على صحة القيامة، أصعب بكثير من البراهين على حياة المسيح وصلبه! “

> "كان من السهل على السلطات أن يحضروا الجسد الميت أمام الناس، لكي يدحضوا الشائعات بأنه صار حيا ثانية."

القبر الفارغ!

لقد أوضحت كل الأناجيل إن التلاميذ ذهبوا إلى قبر المسيح، لتحنيط جسده، فلم يجدوه! بل وجدوا القبر فارغاً! وهذا لا يعني سوى أن الجسد لم يعد موجوداً! وبالتالي، كان من السهل - مثلاً - على السلطات في ذلك الوقت أن تحضر جسد الميت أمام الناس، لكي تدحض الشائعات بأنه صار حيا ثانية .. لكن لم يكن باستطاعتهم أن يفعلوا ذلك؛ لأن الجسد لم يعد موجودا.

فإذا قبلنا حقيقة القبر الفارغ كبرهان؛ فإنه يبقى أمامنا احتمالان:

إما أن هناك من أنقذ المسيح من الموت، وأخرجه من القبر، وساعده بالإسعافات اللازمة؛ لكي يستطيع الظهور ثانية أمام تلاميذه ويقنعهم بأنه حي .. أو أن المسيح الذي صلب ومات فعلا، قد أقامه الله الآب، ليقود شعبه إلى الملكوت.

من جهة الاحتمال الأول، لا يمكن تصديقه

ببساطة، فكيف يمكن أن نصدق أن إنسانا تم تعذيبه بشدة، وتمزقت يداه وقدماه، وأصيب في جنبه، يمكن أن يظهر ثانية بصحة كاملة، في ثلاثة أيام؟! هذا ما لا يقبله عقل.

ولكن يبقى أمامنا الاحتمال الثاني، الذي يبدو للعقل البشري أنه خيالي؛ أي أن المسيح الذي صلب هو نفسه الذي أقيم من القبر .. وتلك هي الحقيقة الثابتة، والاقتناع الأكيد في العهد الجديد، وفي رسالة الكنيسة للعالم.

ظهور المسيح لأتباعه

إن هذه الحادثة قد وردت أيضا في الأناجيل الأربعة .. ولكن، استمرارا لنزعة الشك، يهاجم البعض هذه الرؤية، باعتبارها ملفقة أيضا بواسطة كتبة الأناجيل لإثبات ألوهية المسيح .. ولكن .. ما الذي يدفع التلاميذ، الذين فروا هاربين من موقع الأحداث في جبن ورعب أن يعودوا بعد بضعة أيام، ويعلنوا أنهم قابلوا يسوع، وأنه حي فعلا؟! لا يبدو ذلك معقولا، إلا لو كانوا قد رأوه بالفعل، واقتنعوا بأن ربهم قد قهر الموت.

"شهادة العيان هي المحور الأساسي في القضية."

إن أساس القصة وصحتها يكمنان في رؤى العيان .. ليس فقط "بطرس" وباقي التلاميذ، لكن هناك أيضا "بولس" الذي أدلى بشهادته وكانت من أوائل الشهادات التي دونت كتابة .. فقد شهد بأن المسيح المقام ظهر له .. فأكملت هذه الشهادة العاقلة، المطابقة للحقيقة من شهود عيان موثوق بهم، الحلقة التي، بدورها، أكملت سلسلة البراهين الدافعة الواثقة التي يمكن الارتكان إليها.

وهنا حدث شيء مثير .. فعندما بدأت مجموعة التلاميذ وأتباع يسوع في الاجتماع معا، والتبشير بقيامة المسيح، أصبح يوم الأحد - وهو يوم قيامة يسوع - هو اليوم المقدس بدلا من يوم السبت .. وكان لذلك معنى عميق .. فلا يمكن ليهود أتقياء أن يفعلوا ذلك، إلا لو كان هناك حدث درامي وغير عادي دفعهم إلى ذلك .. مخالفين لكل تعاليم الناموس التي رسخت لعدة قرون .. هذا الحدث كان هو: قيامة المسيح.

وأخيرا، وفيما يشبه الاقتناع الكامل، فإنه

وبدون القيامة؛ لا يمكن تفسير ظهور الكنيسة .. وبأكثر تحديد، فإنه لولا القيامة؛ لما كانت هناك مسيحية .. ولما كانت هناك كنيسة، أو حتى احتفال مرور ألفي عام على ميلاد المسيح.

فالقيامة هي السبب الوحيد الذي جعل من حياة المسيح حقيقة حية في العهد الجديد كله .. فلا يوجد سفر في العهد الجديد، لا يعتمد على حقيقة القيامة .. فهي لب الموضوع .. وقد كانت محور رسالة الكرازة بالمسيحية في الأيام الأولى، والشيء الوحيد الذي أعطى معنى وقيمة للقضية بأكملها.

وأود أن أضيف شيئاً هاماً حول حقيقة القيامة ... فهي ليست مجرد حادثة تاريخية قديمة، لكنها مستمرة حتى الآن، كاختيار حي في قلوب محبي يسوع المسيح، الذين يكرزون معاً باسمه، فهم جسده الحي (الكنيسة).

هل تتجلى حقيقة القيامة في رسالة الكنيسة؟!

هذا هو السؤال الذي يجب أن تواجهه

"المسيح لم يستهلك وقته داخل جدران أماكن العبادة."

الكنيسة، وهي تبدأ ألفية جديدة من عمرها .. فحينما قرأت الأناجيل، وأنا في مرحلة الشباب، كانت مفاجأة لي أن أكتشف أن المسيح لم يستهلك وقت داخل جدران الأماكن الدينية أو دور العبادة! بل إن عظته الأولى في مجمع الناصرة، انتهت فيما يشبه بالكارثة، فقد طردوه من هناك .. وكانت زيارته الأولى للهيكل في أورشليم، قد أثارت هي الأخرى قلاقل ومشاكل، حين قلب موائد الصيارفة وباعة الحمام .. وبذلك، يمكن أن نقول إنه كان ضيفا غير مرغوب فيه داخل أماكن العبادة!

حكى لنا الأسقف "ديزموند توتو" قصة ولد أسمر صغير، تعرض للطرد من كنيسة كان يرتادها أصحاب البشرة البيضاء فقط (كان ذلك أيام التفرقة العنصرية) .. وحينما خرج يبكي خارج أبواب الكنيسة التي أغلقت خلفه، إذا بالرب يظهر له في صورة شخص في ملابس بيضاء، وصحبه على درجات السلم، وطيب خاطره قائلا: "لا تحزن يا ولدي، فقد حاولت مرارا ولسنين عديدة أن أدخل هذه الكنيسة .. دون جدوى!"

وكان هناك معنى عميق وراء هذه القصة .. فقد أراد الأسقف "توتو" أن يوضح إنه من الصعب أن يجد المسيح مكانه في كنيسة تهتم بدقة التنظيم أكثر من أي شيء آخر!

ولقد كان ذلك هو نفس الأمر في أيام المسيح .. فبعد حادثة الناصرة، .. كان يبدو أنه يقضي معظم وقته في الحديث إلى الناس في الهواء الطلق .. وكلما سمع الناس بتعاليمه الجاذبة للانتباه، بدأوا يتزايدون حوله ويتبعونه .. وليست مبالغة أن نصف المشهد في ذلك الوقت بأنه "ثورة المسيح" .. فالجموع بدأت تتزاحم، وتصغي إلى تعليمه بشغف .. وكانوا مأخوذين بالسلطان الذي كان يتحدث به .. وراحوا يطلبون بركة الشفاء على يديه ... ومن هذه المجموعة المتباينة من الرجال والنساء تكونت الكنيسة فيما بعد، وصارت جسدا كبيرا، يتألف الآن من حوالي مليارى نسمة .. يعلنون جميعهم، بصورة أو بأخرى، إيمانهم وتبعيتهم لهذا الشخص العجيب .. "يسوع المسيح".

" من الصعب أن يجد المسيح مكانه في كنيسة تهتم بدقة التنظيم أكثر من أي شيء آخر "

ورغم ما نلاحظه في انكماش في بعض الكنائس - في الغرب مثلا - خلال القرن الماضي إلا أن الصورة ليست كذلك في باقي أنحاء العالم .. حيث انتعشت ونهضت الكنيسة في أماكن عديدة .. بل إن بعضها يضم الآن أعدادا غفيرة من الناس، لم ترها الكنيسة من قبل .. إنها ظاهرة تدعو إلى الفخر .. فالكنيسة في العالم تنمو، وتتبئ بأن تكون قوة تعمل من أجل الخير لأبناء هذا الكون.

الكنيسة ليست كاملة!

لكن هناك حقيقة يجب أن نعترف بها، ونحن في بداية الألفية الثالثة، وهي أن أمورا بغيضة ترتكب باسم الكنيسة، وتفسد جلال الاسم العظيم لمؤسسها:

فهناك فترات في تاريخ الكنيسة، أصاب اسم يسوع المسيح الكثير من التشويه، حين تورطت في حملات صليبية وحروب وغزوات وتعذيب .. وكان لها دور في اضطهاد المرأة .. وغضت البصر عن السياسات الاستعمارية،

والاستعباد، وقمع حرية التعبير.

وللأسف .. كانت في أحيان كثيرة تمثل حجر عثرة في طريق إرساء مبادئ العدل والسلام .. وتلك كانت الطريقة التي ساهمت بها الكنيسة في الإضرار باسم المسيح!

ولكي نفهم هذا التناقض، علينا أن نتذكر أن الكنيسة تعكس سلوك أعضائها من البشر .. وبدلا من دعوة الآخرين ليكونوا مثالا لإنجيل الحرية والسلام - كما فعل ذلك الكثيرون بطريقة رائعة، نجد أن الكنيسة انحرفت كثيرا على مر تاريخها عن تلك المقاييس السامية.

ومع ذلك، يجب علينا ألا نستسلم للإحساس بالكراهية تجاه هذا الجزء من التاريخ ومحاولة التبرؤ منه .. لأن قوة يسوع المسيح تعمل في أعضاء جسده، وتستطيع، في كل الأوقات، أن تبث روح تجديد هائلة.

لقد وصل الأمر بأحد كتاب القرن التاسع

عشر، أن قال: "كنت أود أن أرحب بيسوع المسيح، لولا أنه جاء بعروس مريضة وهي الكنيسة!" .. لكن هذا الكاتب - مثل غيره - لا يعلم أن تلك كانت رسالة المسيح .. حيث تظهر فاعليتها في وسط الجماعة التي تعلن الاحتياج لشخصه وفدائه .. وتقدم هذا الفداء لكل المسكونة.

هذا المسيح الذي عاش بيننا، وتجسد في بشريتنا، داعيا إيانا أن نسمو بالروح الإنسانية؛ ألا يستحق منا أن نعمل بإصرار على رفعة كنيسته؟! بل إن السؤال الأهم المطروح أمام كل كنيسة: كيف نعود ثانية لنكون أداة قوية في ملكوت الله؟ ... وبمعنى آخر: كيف ندعو الآخرين إلى الاستجابة لنداء المحبة الذي يعلنه أبونا السماوي؟

والإجابة معروفة للجميع .. أن تقوم الكنيسة بواجبها في تجسيد صورة المسيح أمام العالم .. أن تعيش كما عاش هو، وتسلك كما سلك هو .. وذلك كله سبق وأن تأملنا فيه من قبل، وعرفنا

” تلك كانت رسالة المسيح .. تظهر فاعليتها في وسط الجماعة التي تعلن الاحتياج لشخصه وفدائه، وتقدم هذا الفداء لكل المسكونة. “

أعماق حياته.

ولكن .. ما هي الصورة التي يجب أن تكون عليها الكنيسة؟! إن جوهر حياة المسيح هو بذل النفس، وليس المقصود بذلك التضحية بأنفسنا وإلغاء كل متطلباتنا بحسب المفهوم الذي يزعج البعض، لأن فيه إهدار لشخصية الإنسان .. لكن بذل النفس والعطاء هو مفهوم أعمق بكثير، فالأمر ليس مجرد التخلي عن رغباتنا ومشاعرنا الشخصية، لكن بالأحرى توجيهها لخدمة الآخرين .. فالكنيسة الباذلة هي التي لا تحسب التكلفة أو الثمن مقابل اهتمامها وتكريس طاقتها بالكامل للتجاوب مع احتياجات البشر .. وهذا لا يعني أن تلقي وراء ظهرها بالتقاليد المقدسة العريقة، لكن الأمر يتطلب أن نعود إلى الطريق الذي رسمه لها الرب يسوع .. والذي سلك هو أيضا فيه.

يجب أن نذكر أنفسنا أن الهدف الوحيد في الوجود هو أن نذكر العطية التي منحنا المسيح إياها بحياته، وأن نخدم العالم الذي نعيش فيه .. وهذا يتطلب منا أن نعيد ضبط أمورنا وسلوكنا،

وحياتنا بطريقة جذرية.

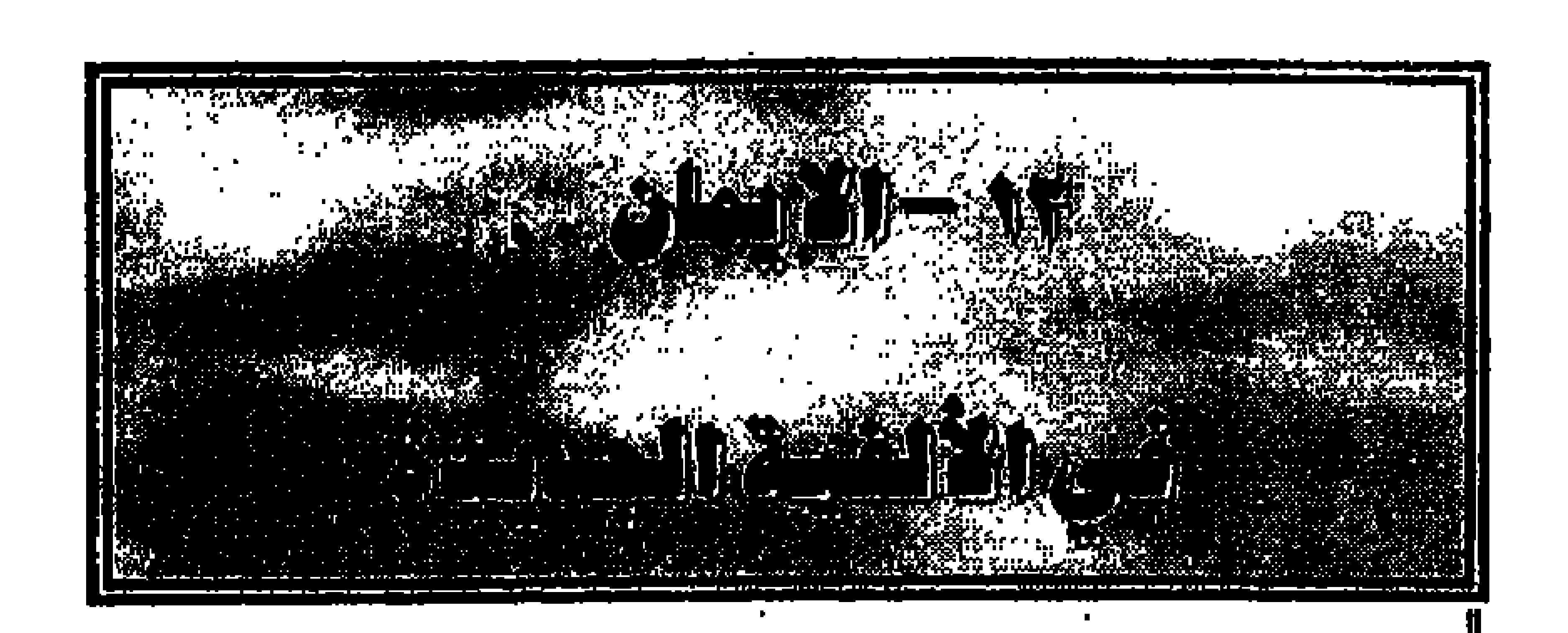
وكما أدهش المسيح الجميع بأفكاره غير التقليدية، وحياته المخالفة لما توقعه الناس من "المسيا المنتظر"؛ كذلك يجب على الكنيسة أن تدهش الجموع التي تتوقع أن تكون كما أرادها المسيح .. أما الانعزالية والتعصب وإساءة استخدام السلطة، فهذا كله ليس مقبولا .. وفوق كل ذلك، علينا أن نشارك المسيح اشتياقه لعالم جديد مغاير تماما لعالمنا الفاسد.

" يجب على الكنيسة أن تدهش الجموع التي تتوقع أن تكون كما أرادها المسيح. "



(١٢)

الإيمان .. في الألفية الجديدة



لا شك أنه على الكنيسة أن تمارس دورها بتكريس واضح، وإيمان راسخ؛ لترسم ملامح عهد جديد في ملكوت الله.

وقد يسأل البعض: وما هي العلاقة بين ملكوت الله وبين رحلة العبور إلى ألفية جديدة؟!

إن الانتقال إلى ألفية جديدة ليس كمن يقترب من نقطة عبور الحدود، وعندما يرفعون الحواجز من طريقه، يدلف إلى بلدة جديدة أو عالم جديد .. لكننا في رحلة لاستكشاف منطقة غير معروفة .. وقد سبقتنا محاولات عديدة للجنس البشري في اكتشاف الجديد، ولم تصادف نجاحا كاملا.

لقد وصلت البشرية في القرن العشرين إلى مستوى غير مسبوق من التطور والتحضر، لكنها

شهدت في نفس الوقت عنفاً وجشعاً لا مثيل لهما؛ مما أدى إلى دمار هائل. إذن، فنحن نترك عالماً قديماً، لكننا، في نفس الوقت، نحمل في حقائبنا عوامل الفشل والدمار التي صنعناها بأنفسنا؛ فأثرت على جنسنا البشري، وأيضاً على الكوكب الذي نعيش فيه ... ولذلك، فإن الرحلة محفوفة بالمخاوف، وفي نفس الوقت بقدر كبير من المسئولية.

ومع ذلك، وبكل تأكيد، يمكننا أن نمضي في رحلتنا تلك بكل هدوء وثقة؛ إذا تسلحنا بثلاثة عناصر هامة من رحلة الحياة والموت والقيامة .. تلك العناصر هي: الهوية .. والاتجاه .. والرجاء.

الهوية

تحتاج هذه الرحلة، التي نتكلم عنها، إلى إحساس بالهوية والانتماء .. أن نعرف من نحن؟ ومن أين أتينا؟ فهناك من انتهت به رحلة البحث والتنقيب عن الحقيقة إلى حالة من فقدان الذاكرة! وأما نحن، فلا يكفينا، كبشر، أن نعيش حياتنا فقط، لكن أيضاً أن يكون لنا انتماء محدد.

> ”نحمل في حقائبنا عوامل الدمار التي صنعناها بأنفسنا، فأثرت على جنسنا البشري، وأيضاً على الكوكب الذي نعيش فيه.“

وقد قال "هافل" Havel أحد المفكرين الأوربيين البارزين في عصرنا الحالي، وهو يصف حال البشرية اليوم: "إن الإنسان يفتقد إلى نظام يحتويه .. نظام يستطيع أن ينسب إليه أي شيء - حتى نفسه .. فإذا اختفى هذا النظام، فإنه يصاب بحالة من التفكك والانقسام الذاتي، فيفقد هويته وانتماءه".

والمسيح، أيضاً، أدرك هذا النقص في الإحساس بالأمان والهوية والانتماء لدى من كانوا يسمعونه (وربما حتى يومنا هذا) .. أما بالنسبة للمسيح، فقد كان ذلك أمراً طبيعياً إزاء حالة البشر، ووصف حالتهم تلك بأنهم كمن "لا راعي لهم" .. وفي موضع آخر، وصفهم بمن يبحث عن "لؤلؤة كثيرة الثمن"، فلا يجدها.

لقد كان جمهور مستمعيه تماماً، كأمثالهم من البشر هذه الأيام .. كانوا أناساً طيبين، يفعلون كل ما في وسعهم، وبكل ما يملكون من إمكانيات ... وفي رسالته السماوية، كان يفترض أن بداخل كل منّا شعوراً بأننا لا نعيش كما ينبغي أن

يكون، أو أن شعورا بالضياع يسكن فينا .. لكنه كان يرى أن سبب ذلك هو أننا لا نعرف الله؛ فيحدث الانقسام الحاد داخلنا .. فنشعر بالانفصال عن ذواتنا، وعن الآخرين، وعن الله .. وها قد أتت اللحظة المناسبة لكي نبحث عن هويتنا .. فقد انتهت ألف عام، وبزغ فجر ألفية جديدة، حيث يستطيع الرب المسيح أن يضمن لنا تلك الهوية بحق.

لقد قدم المسيح حلا أبديا لأخطائنا الكثيرة، ولإحساسنا بالذنب والخجل، وقدم الوسيلة لإصلاح حياتنا المفككة .. ولكي تعرف هويتك وانتماءك الحقيقي، عليك أن تقدم نفسك بحب، كما علمنا المسيح بحياته وتعليمه - ومازال يعلمنا حتى اليوم.

كانت مهمة المسيح هي في قوله الخالد: "جئت لتكون لهم حياة وليكون لهم أفضل" .. ومن خلاله؛ أصبح ممكنا أن نعرف من نحن، وكيف يجب أن نكون .. وبه وحده؛ صار ممكنا للملايين، طيلة ألفي عام، وحتى الآن، أن يختبروا الغفران

”لقد قدم المسيح حلا أبديا لأخطائنا الكثيرة، ولإحساسنا بالذنب والخجل .. وقدم الوسيلة لإصلاح حياتنا المفككة.“

والإحساس بالانتماء لعائلة الله.

يحتاج العالم المتحضر، بكل تأكيد، أن يعيد اكتشاف تلك الحقيقة .. وقد عبر أحد كبار معلمي الدين البريطانيين عن ذلك بقوله: "لم تنجح المدينة والدنيوية في أن تمنحنا أبسط احتياجات الإنسانية الأساسية، وهي أن يكون لحياتنا معنى ... ولذواتنا هوية".

الاتجاه

إذا أردنا لرحلتنا نحو المستقبل أن تنجح، فلابد، بجانب معرفة الهوية، أن نعرف اتجاهنا الصحيح .. فنحن نكتسب إحساسنا بشخصيتنا وهويتنا من معرفتنا لأنفسنا .. ونكتسب معرفة الاتجاه الصحيح في حياتنا من خلال معرفة الله.

الله .. ماذا يشبه؟!

يجيب إيماننا المسيحي على هذا السؤال بأن: "انظر إلى المسيح؛ لكي تعرف" .. ونجد ذلك المعنى في "إنجيل يوحنا"، حيث قال المسيح "من

رآني فقد رأى الآب".

لقد كانت تلك المقولة مذهلة وغير عادية .. بل أثارت أيضا استهجان المناهضين للمسيح .. لكنها كانت العبارة الحاسمة بالنسبة للمؤمنين بالمسيح .. وبتلك الكلمات، يمكن أن نعرف الله .. الله الذي يغمرنا بحبه .. الذي يهتم بنا .. الذي يشاركنا كل شيء (ما عدا الطبيعة الخاطئة) .. وكلما تأملنا في حياة المسيح ورسالته لعصرنا الحاضر؛ اكتشفنا أنه يشير إلى الطريق إلى الله.

إن المستقبل الذي نتقدم نحوه، يحتاج أن نتسلح بمعرفة الله .. وكما رأينا كيف ارتكبت المآسي والفظائع في الماضي على يد المدعين الإيمان والمنسوبين إلى الكنيسة، فإن المائة عام الأخيرة شهدت جرائم أفظع على يد من ينكرون الله تماما .. وبالتالي، نخطئ إن اعتقدنا أن عهد الطغاة والمستبدين قد ولى .. فسيظل الكثيرون يعانون من الضياع، وعدم معرفة الاتجاه الصحيح، في غياب سيادة الله على حياتهم .. في ظل تعاظم القوى الأخرى مثل: "الأيدولوجيات

"سيظل الكثيرون يعانون من الضياع، وعدم معرفة الاتجاه الصحيح، في غياب سيادة الله على حياتهم"

الوثنية"، التي سممت عصرنا، و"اقتصاديات السوق"، والقوى الاقتصادية المختلفة التي أخذت تسود على الفكر الإنساني.

إذا كان اشتياقنا أن تكون بدايات الألفية الجديدة وما بعدها هي بداية عالم جديد؛ فعلينا أن ندير ظهورنا إلى كل ما أفسد اتجاهاتنا، وأن نلتفت إلى الله من جديد.

الرجاء

رأينا أن قوة ومساندة يسوع المسيح هي التي تقودنا إلى أن نعرف: من نحن؟ وإلى أين نتجه؟ وهناك أيضا أمر ثالث نحتاج إليه، ألا وهو .. الرجاء.

لقد عرفنا في الفصول الأولى من هذا الكتاب، كيف كانت رسالة المسيح هي "الملكوت" .. حيث كان يرى في الملكوت، أولا وقبل كل شيء، سيادة الله في القلوب وفي حياة كل منا .. وكيف أن هذا الملكوت وتلك السماء ليست مجرد "مسكنات" روحية تساعدنا على تحمل متاعب

"لا توجد ضرورة لأن ننتظر حتى نجد إجابة على كل الأسئلة التي تجول بخاطرنا، قبل أن نبدأ تلك الخطوة .. فقط، نحتاج إلى الإرادة، وإلى تواضع القلب."

الحياة اليومية على الأرض .. فالحياة الأبدية لا تنتظرنا فقط حينما نموت، لكنها تبدأ من هذه اللحظة، بعلاقة مع الله، من خلال يسوع المسيح، وتستمر هذه العلاقة إلى الأبد .. إنها تبدأ من اللحظة التي يبدأ فيها الإنسان رحلته مع الله ويقترب منه .. ولا توجد ضرورة لأن ننتظر حتى نجد إجابة على كل الأسئلة التي تجول بخاطرنا، قبل أن نبدأ تلك الخطوة ... فقط، نحتاج إلى الإرادة، وإلى تواضع القلب.

ولكن الأمانة تقتضي أن نقول إن الأمر ليس سهلا .. فالبداية دائما صعبة .. وربما، لذلك، كان يجب المسيح أن يشبه الأمر بطبيعة الأطفال في براءتهم وثقتهم الفطرية - تلك التي نحتاجها، لكي نكتشف طبيعة الملكوت .. وقد عبر هو عن ذلك بقوله: "كل من لا يقبل ملكوت السموات مثل طفل فلن يدخله" .. إنها الكلمات الموجهة إلى كل قلب - حتى في العالم المتحضر والمتطور الذي نعيش فيه .. وذلك لا يعني أن الإيمان المسيحي هو إيمان طفولي بمعنى السذاجة والسطحية .. فالألوف من العلماء العظام،

وأصحاب العقول المفكرة، قرروا أن يتبعوا المسيح .. وأنت أيضا، من السهل عليك أن تمتلك بين يديك هذه الحقيقة الإلهية، بنفس البساطة التي بها يصدقها الطفل ويقبلها.

وبنفس تلك الروح، يجب أن تكون بداية مشوارنا في الألفية الجديدة .. فبدون الرجاء والأمل، لا توجد طريقة سهلة لبداية المشوار.

إن أثمن شيء يمكن أن نمتلكه، الآن، هو تلك العطايا الثلاثة: الهوية .. الاتجاه .. الرجاء.

ولقد كانت تلك الكلمات تمثل، بالنسبة لي، نبراسا مضيئا طيلة أربعين عاما منذ بداية رحلتي مع الله .. ومازالت تمنح لحياتي الدافع والعزيمة لاستمرار التحدي .. فشخص المسيح يمثل، بالنسبة لي، محور حياتي ووجودي .. كما أنني أتطلع، باستمرار، نحو شخصه هو فقط، في مسيرة حياتي الشخصية .. ولقد عاصرت الكثير من الناس، الذين لا عدد لهم ولا حصر، ممن كانت حياتهم في يد هذا القدير فهو الذي منحهم

"شخص المسيح يمثل بالنسبة لي محور حياتي ووجودي"

النعمة والرجاء والسلام.

وأود أن أضيف: إنه بإمكانه (أي السيد المسيح) أن يمنحك ما هو أكثر من ذلك بكثير .. فعنده الكثير .. فهو يمنحك المزيد من النعم، والانتصارات، بقدر ما يطلب منك المزيد من التكريس له والتسليم إليه .. فتلك هي "الحياة الأفضل".

قال أحد رؤساء الأساقفة السابقين: "قد تكون البداية غير مكلفة إلا أن التكلفة السنوية هي كل شيء" .. فالحياة المسيحية ليست لعبة، أو ضربا من الرفاهية، بل هناك متطلبات مكلفة لحياتنا وسلوكنا.

ويبقى أمامنا السؤال الذي عاش طيلة ألفي عام، وحتى الآن، والذي كان المسيح يوجهه لتلاميذه:

"وأنتم من تقولون أني أنا؟"

وكانت إجابة "بطرس" المعروفة هي: "أنت هو المسيح ابن الله" .. وكانت تلك بداية التغيير في حياته، وكانت الإجابة التي جعلت لحياته هدفاً ومعنى.

وبالتالي .. لا مجال للوعود السهلة أو الكلمات المعسولة، ولا توجد أية التزامات عاجلة في رحلتك نحو الملكوت .. فقط، نحتاج إلى وجود المسيح في حياتنا، أينما كنا، ومهما كانت انتماءاتنا .. ولا مكان للرهبة من المستقبل؛ طالما أننا نعرف الشخص الذي يملك مفاتيح المستقبل.

أصلي أن يباركك الله في بداية رحلتك الجديدة معه في الألفية الجديدة.

"لا مكان للرهبة من المستقبل، طالما أننا نعرف الشخص الذي يملك مفاتيح المستقبل"

دعوة لمزيد من التأمل والتفكير

لا أجد أفضل من هذا الوقت في بداية القرن، وبداية الألفية الجديدة؛ لكي أشجعك أن تقضي وقتاً كافياً للتأمل في شخص المسيح وتفكر في رسالته.

ربما كان مفيداً أن تقرأ، بتأني، "الصلاة الربانية" الموجودة في الصفحات الأولى من هذا الكتاب .. ثم ارفع قلبك إلى الله، واطلب منه أن يتكلم إليك .. ابحث عن نسخة من الكتاب المقدس، في أي مكان، واقرأ قصة حياة المسيح، كما يرويها الوحي المقدس بأناجيل "متى" و"مرقس" و"لوقا" و"يوحنا".

وربما تتاح لك أيضاً فرصة لزيارة أحد الكنائس خلال الشهور المقبلة .. وقد يحتاج الأمر لأكثر من زيارة لعدد من الكنائس حتى تستريح لإحداها .. فالمهم هو أن تستمر في حماسك، وتبحث بجدية عن المكان الذي تجد فيه ترحيباً .. وكذلك تجد فيه فرصة للتأمل في المعاني الجديدة

التي أضافها إلى حياتك صاحب شخصية هذا الكتاب ومحوره يسوع المسيح، بمناسبة بدايات الألفية الجديدة.

مسيح ٢٠٠٠



"لم يؤلف كتاباً واحداً في حياته .. ولم يكن له مقر خاص .. بل لم تكن له عائلة بالمعنى المألوف ..

لم يمتلك بيتاً يسكن إليه وفيه .. لم يذهب إلى مدرسة أو جامعة .. ولم تكن له أوراق اعتماد بالنسبة للآخرين ..

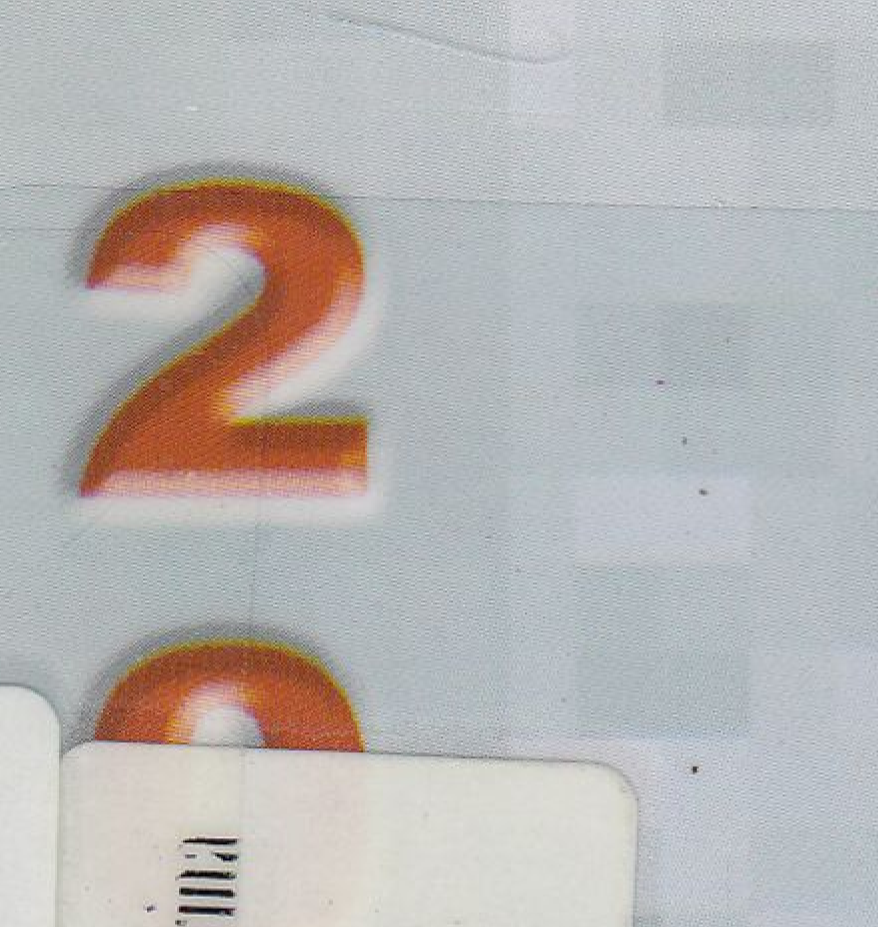
ولكن .. لم تتأثر حياة الإنسان بجيوش أو أساطيل أو برلمانات أو حكام ، مثلما تأثرت بتلك الحياة الفريدة المتفردة لذلك الشخص ..

والكتاب الذي بين أيدينا ما هو إلا محاولة للكشف عن المكانة الحقيقية لهذا الشخص غير العادي ، فهو مركز إحتفالاتنا بالألفية الثالثة ..

ونحن ندعوك ، بمناسبة الألفية الجديدة ... حيث تتعرف ، لأول مرة ..على هذا الشخص ... يسوع المسيح .. فكل واحد منا ، عليه أن يستكشف هذا الأمر مرة واحدة ، على الأقل ، في حياته ."

د. جورج كاري

رئيس أساقفة كانتربري





دار النشر الأسقفية

